الأدلة العلمية

على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية

تأليف

محمد فريد وجدى

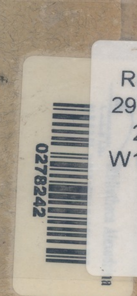
مدير مجلة الأزهر

ردود علمية على الذين يذهبون الى عدم جواز ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية، تصحيحا للترجمات الموجودة وتعميما للدعوة الاسلامية . ودحوض لجميع الشبهات التى يثيرها بعض الكتاب على هذا العمل الجليل .

ملحق بالجزء الثانى من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥

« يوزع بالمجان »

الطبعة الثانية



طبع بمطبعة الرغائب

فى ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ (يونيو سنة ١٩٣٦)

الأدلة العلمية

على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية

تأليف

محمد فريد وجدي

مدير مجلة الأزهر

ردود علمية على الذين يذهبون الى عدم جواز ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية، تصحيحا للترجمات الموجودة وتعميما للدعوة الاسلامية . ودحوض لجميع الشبهات التي يثيرها بعض الكتاب على هذا العمل الجليل .

ملحق بالجزء الثاني من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥

« يوزع بالمجان »

الطبعة الثانية

طبع بمطبعة الرغائب

في ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ (يونيو سنة ١٩٣٦)



الحمد لله الذى أنزل القرآن هدى للعالمين ، وجعله تبصرة لخلقه أجمعين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين .

مقدمة

القرآن العظيم هو آية الله الكبرى للخلق كافة ، أنزله بلسان عربي مبين ، وندب الذين يتولونه أن يبلغوه للعالم بكل وسيلة تصل اليها قدرتهم ، فهو أمانة عهد بها اليهم ، ودعوا للقيام بحقها مااستطاعوا الى ذلك سبيلا ، فقال تعالى : « إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

وأهل القرآن إنما ندبوا لذلك لأن له مقاصد عالية لاتتم إلا بتعميم نشره ، واشتراك أمم مختلفة فى إقامته . وهذه المقاصد العالية تنحصر أصولها فى المرامى الآتية ، وهى :

١ — تطهير العقائد الأولية مما أدخل عليها من آراء المتزيدين ، وأضاليل المتأولين .

٢ — إنقاذ الضمير البشرى من الذين انتحلوا حق التسلط عليه ، وتطهيره مما ران عليه من وساوسهم وخزعبلاتهم .

٣ — إقامة سلطان العقل ، وإعلان حرية النظر ، وهدم صنم التقليد .

٤ — إسقاط الوسطاء بين الله وخلقه ، والمناداة بالمساواة العامة بين الناس أجمعين .

٥ — وحدة الجماعات البشرية كافة ، بقيامها جملة على كلمة الله العليا .

٦ — إهدار مابينها من فروق قومية ، واختلافات جنسية ولغوية فى ظلال الوحدة الانسانية .

٧ — الرجوع بالدين الى أصله الأول الذي أوحاه الى جميع الأمم خالصا من كل شائبة بشرية ، ونبذ ما دسه الزعماء الى جوهره من تأويلات وشروح مما جعل الناس فيه أحزابا وشيعا .

٨ — إقامة دولة الحق فى الأرض ، وجمع القلوب عليها ، والتضافر على إزهاق الباطل .

٩ — دخول الأمم كافة الى حظيرة السلام ، والتكافل على تحقيق الخير العام ، بنشر التعاليم الفاضلة بين الناس قاطبة .

١٠ — دوام الارتقاء فى العلم والعمل ، والوصول الى الحق من طريق النظر فى آيات الله ، وتحدى المثل العليا للوصول الى الكمال المقدر للانسان .

١١ — إنذار من لايساهم من الجماعات على تحقيق هذا الاصلاح العام بالعذاب فى الدنيا ، وسوء المنقلب فى الحياة الأخرى .

هذه أصول ذات مقاصد عالمية ، لاتتم على يد أمة واحدة ، ولابد من اشتراك أمم مختلفة فيها ، ليتحقق معنى أنها إصلاح عالمى عام ، تقوم به الحجة ، ويصلح أن يكون مثلا أعلى فى كل زمان ومكان . وقد صرح الله تعالى بأن القرآن هو ختام الوحي الالهى ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين الى الناس كافة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون » .

وقد أمر من يدين بالاسلام من الناس أن يتحملوا الأعباء التى يفرضها الحق عليهم بالدعوة الى هذا الاصلاح العام بكل وسيلة ، فقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » وقال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

إذا كان الأمر كما ترى أفيستطيع المسلمون أن يهملوا تبليغ ماندبوا الى تبليغه اعترافا منهم بالقصور ، أو تلبسا بالتقصير ، فيستبدل الله بهم قوما غيرهم

كما أوعد بذلك فقال : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ؟

ليس فى هـــذه الملة من لا يسلم بصدق المقدمات التى قدمناها والنتيجة المترتبة عليها ، ولكن الخلاف بين المتكلمين ينحصر فى الأسلوب الذى تؤدى به أمانة التبليغ التى فى أعناقنا للأمم كافة .

أساليب الدعوى فى مختلف العصور :

قد مضت عهود تاريخية كان للتفاهم فيها أساليب قضت بها سنن الاجتماع ، وقد أفادت المسلمين هذه الوسيلة فى أول عهدهم ، فدخلت فى الاسلام أمم برمتها ، ولم يمض عليهم قرن واحد حتى بلغ عدد أتباعه نحو مائة مليون نسمة من شعوب مختلفة

ولكنا فى عهد أصبح أقل الناس فيه شأنا يحسب لنفسه وجوداً أدبياً ، واستقلالا ذاتياً ، وحرية غير محدودة فى الانتقال من دين إلى دين ·

وشعر الذين نالوا حظاً من الروح الاسلامية من رجالات هـذا العصر بفداحة التبعة المترتبة على كتمان ما استؤمنوا عليه من هـذه الوديعة الالهية ، وتركها محصورة فيهم ، موقوفة عليهم ، فى عهـد أصبحت فيه جميع النظم الاجتماعية ، والربط الأدبية فى بوتقة النقد الدقيق ، واستعدت العقول لقبول أى علاج كان يفرج الكروب ، ويأسو الكلوم ، ويحل المعاضل ، وينهج محجة لا تفترق بأهلها عن الرشد ، ولا تبعد بهم عن الغاية ، ولا تلتوى بهم فى مضال طال عليهم الأمد فيها ، وأصبحوا عنها راغبين . فرأى الذين شعروا منا بأمانة التبليغ أن الضن بالبلسم الشافى لجراح الانسانية ، والشح به والناس أحوج ما يكونون اليه ، والعقول أعطش ما تكون الى جديد ، وأرجى ما تكون لمفاجأة ، يعتبر لدى العارفين أكبر جريمة يمكن أن ترتكبها جماعة أسند اليها الاضطلاع بعمل عالمي عظيم . فنشطوا لترجمة معانى القرآن الكريم الي أمهات اللغات العالمية ، خروجا من هذه التبعة ، وإعذارا إلى الله بهـذا العمل ،

لتعمل آيات الله فى العقول والقلوب ، وهى فى مزدحم الآراء والمذاهب التى تغلى بها رءوس القادة وتفيض منها على ألسنتهم ، ما عملته فيما سلف ، ولتريهم أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، فينفتح له طريق إلى ضمائر الناس وألبابهم ، فقد رأوا من آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم ما يريهم رأى العين أنه هو الحق الذى يعوزهم ، كما وعد الله بذلك فى قوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ؟

يقولون : هذا كلام لا شبهة فيه ولكن يكفى أن تؤلف رسائل تبين أغراض الاسلام ، وأن تنشر هذه الرسائل بين الأمم . ويفوتهم أن الاقتصار على الرسائل لا يفى بالغرض المقصود ، ولا يخلينا من تبعة كتمان ما أنزل الله لأسباب كثيرة ، أهمها :

(ا) أن الأمم لا تقبل على قراءة هذه الرسائل كما لا نقبل نحن على قراءة رسائل المبشرين ، اعتقاداً من تلك الأمم أن هذه المطبوعات تكتب للدعاية ، وأنها يتحرى فيها التأثير الخطابى ، والخلابة الكتابية .

(ب) أن الخصوم يستطيعون أن يقاوموا رسائلنا برسائل مثلها ، مدعين أن ما نكتبه فيها ثمرة ماحصلناه من علومهم ، لا ثمرة تعاليم كتابنا ، وقد كتبوا عنه أنه غذاء عقيم لأهله . (انظر كتاب رسائل فى الدين للمبشرين باللغة الانجليزية) .

(ج) أن الأمم المعاصرة لا يقنعها أن تأخذ الشىء بالواسطة ، وبفهم سواها له ، وإنما تريده من مصدره الأول ، وتدعى أنها تفهم منه أكثر مما يفهم أهله الأخصون . فترجمة معانى القرآن والحالة هذه أصبحت فى هذا العصر أمراً لا مناص منه ، قياما بالعهد الذي فى أعناقنا له ، وإلا استحققنا ما يوعد الله به المقصرين فى تبليغه .

يقولون : إن القرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات ،

فان سلمنا لكم بترجمة معانى آياته المحكمة ، فلم تتشبثون بترجمة آياته المتشابهة ، أتريدون أن تثيروا شبهات على القرآن ؟

نقول : أأنتم أعلم أم الله ؟ إنه جل وعز أنزله محكما ومتشابها والعرب فى جاهلية جهلاء ، وأمية صماء بكماء ، وقد وصفهم فى عشرات من الآيات بأنهم كانوا لايعلمون شيئا ولا يعقلون ، وبأنهم كالخشب المسندة ، وكالأنعام السائمة بل أضل سبيلا . والقرآن اليوم منتشر بين الأمم الاسلامية على ماأنزل عليه ، وفيهم أقوام لايكادون يفقهون قولا ، أفلا يسعنا ماوسع الحق نفسه ، ووسع رسوله فبلغه كله ؟

إن هؤلاء لايتهمون بسوء النية ، ولكنهم مغترون بالحصة الضئيلة من العقلية التي حصلوها ، ويغيب عنهم أن هذه الآيات المتشابهة جزء لاينفصل من القرآن ، وربما انكشفت منها آية واحدة لبعض أهل البصائر فملأ منها طباق الأرض نورا ، ولكن أكثر الناس لايعلمون .

يقولون ان ترجمة القرآن لاتجوز :

يقولون هب أن كل ماتقوله حق ، ولكن ما العمل وقد أجمع الأئمة أن ترجمة معانى القرآن لاتجوز ؟

نقول : ياضيعة العلم ! أفى مثل هذا البلد الذى يعتبر مثابة للاسلام ، وبين ظهرانى الألوف المؤلفة من علمائه ، يتجرأ المتجرئون على اتهام أئمة الدين الأولين بحصر معانى كتاب الله فى اللغة العربية وعدم تعديتها الى الأمم التى كلفنا بابلاغها اليهم ؟

فانظر إلى أى دركة وصل بعضنا فى تدهوره من إغفال الناحية العالمية للاسلام ، حتى أصبح لايسعهم ماوسع آباءنا الأولين من لدن القرن الأول ، بل ماوسع النبى صلى الله عليه وسلم إذ سمح بأن تترجم الفاتحة ويقرأ بها مترجمة فى الصلاة . وقد بنى أبوحنيفة مذهبه على هذه الحادثة .

ألا تعجب :

نعم ، ألا تعجب من قوم أوتوا كتابا نص فيه على أنه للعالم كافة ، لا لقوم خاصة ، وأمروا أن يقوموا بتبليغه الى الناس فى مشارق الأرض ومغاربها ، فقام أوائلهم بما تسنى لهم القيام به من ذلك على الطريقة التى كانت مألوفة فى زمانهم ، فلما آل الأمر الى أهل هذا الجيل ، وتغيرت سنن التبليغ ، وقامت العوامل الأدبية مقام العوامل المادية ، وثقلت عليهم تبعة التقصير ، فهبوا يجرون على سنة العصر ، بترجمة ذلك الكتاب الكريم الى اللغات الأجنبية ، وفاء بما حملوه من هذه الوديعة ، هب منهم قوم يدعون بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، وقد بلغ منهم الذعر المتصنع غايته ، وأخذ منهم الهلع المتكلف مأخذه ، يلتدمون صدورهم هما وكمدا ، ويذرفون الدموع الحرى كربا وأسفا ، ويتعاهدون على عرقلة هذا المشروع بكل وسيلة ؟ !

على أى شىء كل هذا ؟ أوراءه تحريف القرآن العربى المبين ؟ أم حلول الترجمات محله عند المسلمين ؟ أم ضياع جلال الدين ؟ أم تمكين الكافرين من رقاب المؤمنين ؟ أم فتح الثغور الاسلامية للغزاة والفاتحين ؟

أتتعدى المسألة مهما بولغ فى تهويلها ، واستهتر فى تدليسها ، أن طائفة من المسلمين قاموا يعملون مافيه خلاف بين فقهاء المذاهب ، وأكثرهم يرى أنه عمل جائز شرعا بل هو مستحسن ؟

فهل يسع هؤلاء المتظاهرين بالغيرة على الدين أن يناموا ملء عيونهم وقد طمت البدع فى المسلمين ، وانتشرت الاباحة بين الناس أجمعين ، وعم الفساد الأبعدين والأقربين ، ولا يسعهم أن يغمضوا الطرف عن أمر كل مايمكن أن يقال فيه أنه مخالف لرأى بعض العلماء المتقدمين ؟

فبماذا تعلل ماهم فيه من الهم الناصب ، والقلق الواصب ، وقد ثبت للناظرين بكل دليل أن ترجمة القرآن يجوزها أكبر مذهب فى المسلمين ، ويستحسنها جمهور من العلماء الممتازين ، من جميع مذاهب المتقدمين ؟

أنا أترك التعليل للقارئين .

من أين يأتى المعارضون بأدلتهم ؟

لعلك تقول بعد هـذا كله : إذا كان الأمر كما تذكر فمن أين يأتى الذين يعارضون هذا الوضوع بالأقوال من كتب المذاهب معزوة الى علماء مشهورين فيها ؟

نقول : اليك بيان هذا الأمر :

إن الذين يتولون المعارضة فى ترجمة معانى القرآن الكريم فرقتان : إحداها تستهتر فى معارضتها قصورا منها فى العلم ، وقصراً فى النظر . وثانيتهما جريا وراء اعتبارات نتأثم أن نخوض فيها رجما بالغيب .

وقد اتفقت الفرقتان على القول بأن المسلمين (أجمعوا) على عدم جواز ترجمة معاني القرآن ، وهم لاثبات هذا القول يكثرون من إيراد عبارات يتصيدونها من كتب الفقه ، أثرت عن الذين كانوا يقولون بعدم الجواز ، مغفلين من عداهم من القائلين بجواز ترجمته ، إيهاما للناس بأن إجماع المسلمين انعقد على تحريم الترجمة .

ولا يخفى على أحد أن حرية البحث أصل من أصول الاسلام ، حتى لاتكاد تجد مسألة فرعية لم يحدث فيها خلاف ، ليس بين أصحاب المذاهب المختلفة فحسب ولكن بين علماء كل مذهب منها أيضا . ومسألة ترجمة القرآن هى إحدى هذه المسائل التى عرضت للمسلمين من أول ظهور الاسلام واختلفت فيها الآراء .

فترى أصحابنا المعارضين يعمدون الى جمع الآراء المعارضة فى صعيد واحد ، ليظن كل من يلقى بنظرة عليها أنهم يسوقون الفقه كله بين أيديهم ، إيهاما للعامة ومن فى حكمهم أن المسلمين الأولين كانوا يحرمون ترجمة القرآن الكريم تحريما باتا ، وأن القائلين بوجوب ترجمته من المعاصرين مبتدعون ، ليصيبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء على المصلحين ، شأن إخوانهم المثبطين فى جميع أدوار النهضات الاجتماعية والأدبية .

ونحن لوقاية الناس من خطر هـذا التلبيس الشنيع نضطر هؤلاء المبطلين إلى حصر بحوثهم فى مجالات محدودة ، بطرح هذه الأسئلة عليهم ، وهى :

هل قال أبو حنيفة بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما للعاجز عن العربية أم لا ؟ وهل نصت على ذلك كتب الأحناف قديماً وحديثاً أم لا ؟

وهل على مسـلم من بأس أن يتمذهب بمذهب أبى حنيفة الملقب بالامام الأعظم ويعتبر مسلماً سنياً أم لا ؟

وهل يعتبر ابن حجر شارح البخارى ، وابن بطال ، والشاطبى صاحب الموافقات ، والمقدسى ، والامامان محمد بن الحسن وأبو يوسف صاحبا أبى حنيفة ، وجميع من استشهدنا بأقوالهم فى جواز ترجمة القرآن ، مسلمين سـنيين أم لا ؟

شبهات طريفة على ترجمة القرآن :

إن شئت أن تعرف أمثلة من هذه الشبهات الطريفة فاليك :

كتب واحد منهم فى المقطم يقول ما خلاصـته : لو ترجم القرآن إلي لغة أجنبية اسـتطاع أهل تلك اللغة أن يدعوا أن هـذه الترجمة هى أصل القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يوعزون الى بعض رجالهم بترجمته الى العربية فى لغة سقيمة ، ويشيعون هـذه الترجمة بين المسلمين موهمين إياهم بأنها هى القرآن نفسه ، فيضيع أصله وتبقى هذه الترجمة الساقطة بين أيدى الناس فيصيب القرآن ما أصاب الـكتب الالهية التى نزلت قبـله من ضياع الأصول وبقاء التراجم .

بخ بخ ! فلا تسأل هذا العالم : وأين تـكون ملايين الملايين من القرآن العربي المبين إذ ذاك ؟ وأين يكون الثمانون مليوناً من الذين يتكلمون العربية ويعرفون قرآنهم كما يعرفون أبناءهم عند ظهور هـذه الفتنة ؟ وكيف يمكن أن يروج مثل هذا الأفك بين الألف مليون نسمة من سـكان الأرض ؟ وكيف يتفق هذا ووعد الله بحفظه من كل سوء ؟

قلت : لاتسأله عن شيء من هذا ، فقد يسمعك ما هو أشد منه إيلاما للعقول .

شبهات من طراز آخر :

وقد قرأنا فى المقطم أيضا لفضيلة الشيخ محمد سليمان أن فى ترجمة القرآن أخطارا على أصل الدعوة الاسلامية ، وعزة اللغة العربية ، ومجد هذا الوطن .

فنحن نسأل فضيلته : كيف يعقل أن تكون فى ترجمة القرآن أخطار على الدعوة الاسلامية وقد شرط العلماء أن تكون تلك الدعوة بلسان الأقوام المدعوين ، وبالانتقال اليهم فى بلادهم ؟

وهل يرى الأستاذ قولا أقوى حجة ، وأفعل فى النفس ، وأدخل الى مواطن الاقتناع من كلام الحق نفسه ؟ لقد قرأ الفيلسوف الانجليزى برنارد شو نسخة القرآن المترجمة إلى الانجليزية فقال : « إن الديانة الاسلامية كفيلة بأسو جراح الانسانية ، وإن العالم المتمدن قد بدأ يفهمها على حقيقتها ، ولا أظن أنه يمضى عليها قرنان حتى تكون قد أسلمت كلها » .

وقال العبقرى الكبير جوت الألمانى بعد أن قرأ ترجمة القرآن : « لو كان الدين الاسلامي هو هذا فنحن إذن فيه » .

وقال نديده الكبير كارليل الانجليزى مثل قوله . وقال غيرهم من كبار العقول مثل قولهم . وليس فيهم واحد يعرف حرفا من اللغة العربية ، وإنما هم نظروا فى هذه التراجم القاصرة التى بين أيديهم . فهل يقال بعد هذا إن فى ترجمة القرآن ترجمة صحيحة أخطارا على أصل الدعوة ؟

ما هى الدعوة التى تكون ترجمة القرآن خطرا عليها ؟ أهى الدعوة باللغة العربية ؟ هب أن رجلا قام يدعو للاسلام فى بلد أجنبى فقيل له أين كتابه ؟ فقال لهم : إن كتابه تستحيل ترجمته الى لسانكم . فسئل ولماذا ؟ فأجاب لأن علماء المسلمين يحرمون ذلك . أفتظن أن جوابه هذا يكون فى مصلحة الدعوة الاسلامية ؟ بل هل فى العالم من يعقله ويعطف على القائلين به والعاملين عليه ؟

أفلا يكون ذلك موجبا للسخرية فوق ما هو عليه من الصد عن الدين ، والاستخفاف بعقلية أهله أجمعين ؟

ننظر فى الأخطار المتوقعة من الترجمة على عزة العربية :

الذى يعرفه الناس قديما وحديثا أن شرف اللغة وكرامتها ، ومكانة أهلها من الذخر الأدبى ، يكون بقدر ما يترجم عنها إلى اللغات الأجنبية . فاذا عرضت أمام عينيك أعز أمم الأرض اليوم كانجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها ، رأيت لغاتها أكثر اللغات عرضة للترجمة . فلا يكاد يصدر فيها كتاب قيم حتى يترجم إلى أكثر لغات العالم . وهذا فى عرف الناس من أجل مفاخر لغات تلك الأمم

ولما كانت الأمة العربية فى أبهة سلطانها كانت الأمم كلها عالة على لغتها ، تترجم عنها ما ترى أنه يفيدها ، ولم يقل أحد إن ترجمة كتبها كانت تقدح فى عزة لغتها

فان كان المراد أن تولينا نحن ترجمة القرآن بأنفسنا يقدح فى عزة لغتنا ، فنحن مضطرون إلى ذلك من ناحيتين : أولاهما أن الأوربيين ترجموا القرآن تراجم سقيمة لا نرى مندوحة من تقويمها ، ولا يسعنا تركها على حالها . وثانيتهما أن مصلحة الدعوة تحفزنا إلى ذلك لأننا مكلفون بها شرعا ؛ والدعوة بالقرآن أبلغ ما يصل اليه الامكان ، وهو المأثور عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، فانه كان إذا أراد أن يدعو قوما قرأ عليهم ما تيسر منه ، فلا يجدون محيصا من التسليم به . قال تعالى : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وقال تعالى : « وأوحي الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » أى وسائر من بلغه من عموم الخلق . وقال تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد »

إذا كان الأمر كما ترى فلماذا نعدل عن هذه الطريقة إلى غيرها ؟

يقول المتمنتون : الذى أمرنا أن نذكر به هو القرآن العربى لا ترجمته .

نقول : إننا نذكر بالقرآن من يفهمه . فأما من لا يفهمه من الأجانب فنذكرهم

بترجمته ، كما ذكره ابن حجر فى شرح البخارى نقلا عن ابن بطال . ولا بأس أن نعيد قوله هنا ، فقد قال : « إن الوحى متلوا أو غير متلو إنما نزل بلغة العرب ، ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحى عربى ، وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » انتهى .

لننظر فى ضرر ترجمة القرآن بمجد هذا الوطن :

لم نسمع قبل اليوم أن تصدى أمة لترجمة كتابها المقدس بقصد تقويم الترجمات التى صدرت عنه ، وبقصد القيام بدعوة عامة للدين الذى يدعو اليه ، يقدح فى مجد وطنها ، ويحط من كرامته .

ولكن الذى سمعناه ورأيناه بأعيننا أن أعز الأمم جانبا فى هذا العصر تترجم كتبها المقدسة الى أحط اللغات العالمية ، وتعنى بطبعها وتجليدها وتوزع ملايين من نسخها بالمجان ، ولا يشعر أحد فى تلك الأمم العزيزة أن مجد وطنها قد مس بسوء أو أصيب فى كرامته ، بل اعتبر الناس جميعا أن هذا العمل قد أضاف مجدا الى مجد تلك الأمم ، وزادها شرفا على شرف . إن كان شعور المسلمين بالمجادة والسؤدد ، أشد فى عهد منه فى أي عهد آخر ، فقد كان ذلك فى القرون الأولى من ظهور دينهم ، وكان العالم كله يعترف لهم بهذه المجادة ويدين لها فعلا . ومع هذا فقد ظهر القول بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما لمن لايعرف العربية فى القرن الأول ، وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ ترجم سلمان رضى الله عنه فاتحة الكتاب الى الفارسية وصلى بها بعض من أسلم من الفرس ، وأصبح هذا الجواز فى القرن الثانى ، أصلا مذهبيا فى أكبر مذاهبهم الفقهية ، وأبدي كثير من كبار علماء المذاهب استحسانهم للترجمة دون الصلاة بها كما رأيته هنا .

وقد تنازع أصحاب المذاهب فى مسألة الصلاة بالترجمة أو بطلانها ولم يذكر واحد منهم فى الشبهات التى أدلى بها أن ترجمة القرآن تضر بمجد المسلمين أو تقدح

فى كرامتهم . فهل يعقل أن نكون أكثر منهم شعورا اليوم بهـذا المجد فى هذا العهد ؟

أليس مما يزيد مجد هذا الوطن أن يعلم الناس أن لأهله دينا قيما ، وكتابا معجزا ، بدل أن يتوهموا أن ديننا مناسب لدرجتنا من التقدم ، وأننا نتخلى عنـه متى اجتزنا دور الانتقال الذي نحن فيه ؟ أليس هذا هو سرحوم دعاة الملل حولنا ، وتحككهم بنا طمعا فى تصيدنا الى مللهم ؟ ألم يقل الأستاذ هانوتو : إن الاسلام يصلح قنطرة من الوثنية الى المسيحية ؟

إن هؤلاء الدعاة يستمدون كبار الأغنياء فى العالم الجديد والحديث بدعوى أننا على دين ساذج لايناسب التمدن ، ولا يقوى على البقاء معه ، وأولئك يصدقونهم فيما يقولون ويبذلون لهم القناطير المقنطرة من الذهب ، ليستمروا فى دعايتهم . ولـكن لو قرأ هؤلاء الأغنياء ترجمة القرآن التى يصدرها الأزهر ، ويكفى أن يعلن أنه مصدرها لتقرأ ، فانهم يدركون أن للمسلمين دينا لايهدم ، فيكفون عن مساعدة هؤلاء الدعاة أو يقلون من إمدادهم .

فهل تزيد مثل هذه النتائج المنتظرة فى مجد هذا الوطن وسائر الأوطان الاسلامية أو تنقص منها ؟

كفى هذا البيان ، ولا أريد على ماسألت جوابا .

الرأى العام الانجليزى وكتاب الصلاة :

ومما كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان فى المقطم تنويها بسلطان الرأى العام أن قسوس الانجليز رموا منذ أعوام الى إحداث تغيير فى كتاب الصلاة فأبى عليهم الرأى العام ذلك وبقى نصه على ما كان عليه .

يريد الأستاذ من إيراد هذه المسألة أن للرأى العام أن يضطر مشيخة الأزهر الى العدول عن ترجمة القرآن .

وهذا قياس مع الفارق ، فان قساوسة الانجليز كانوا أرادوا أن يحوروا

نص عبارات الصلاة بما يجعلها أكثر ملاءمة للأفكار الحديثة فى مقابل وضع صيغ فيها تقرب من الكاثوليكية ، فتصدى لهم المحافظون وتمكنوا من التأثير فى مجلس العموم على إبقائها على ما كانت عليه ، فاقترع ضد التعديل ، وبقى نص الصلاة على ما كان عليه . ولكن هل منعهم حق ترجمته إلى عشرات من اللغات الانسانية زاعما أن ذلك يحط من كرامة الوطن ، أو يسقط من مجادته ؟ بهذا كان يصح القياس لا بأبقاء نص الصلاة على ما كان عليه .

أين هذا من موقف الأزهر اليوم ؟ إنه يرى أنه قد صدرت ترجمات عديدة للقرآن الكريم بأكثر اللغات الحية كلها مصدرة بمقدمات تقدح فى قداسة الاسلام ، وفى صدق رسوله ، وليس فيها واحدة يمكن الاعتماد عليها ، ويرى أن سكوته حيالها إقرار ضمنى بصحة ماجاء فيها . وفى ذلك إثم كبير ، بل خطر عظيم على الاسلام والمسلمين . أفلا يكون من أهم مايجب أن يعنى به الأزهر وضع ترجمة صحيحة لمعانى القرآن الكريم تتلافى ضرر الأخطاء الفاحشة التى جاءت فى تلك التراجم الكثيرة ، فيقف الناس على حقيقة الاسلام من مصدره الأقدس ، وبخاصة فى هذا العهد الذى تغلى فيه الرءوس فى أوربا وأمريكا وآسيا بطلب التجديد والوقوف على الحقائق الناصعة ، وإزاء حركة المؤتمرات الدينية التى تعقد كل عام فى عاصمة من أكبر عواصم الأرض ؟

أمن الورع أن يقف المسلمون جامدين مكتوفى الأيدى أمام أمثال هذه الحركات الفكرية والروحية ليتوهم العالم كله أننا لا نملك سلاحا نكافح به فى ميدان هذا الجهاد الفكرى فى هذا العصر المنير ؟

ألا يعتبر جمودنا هذا من إضاعة الفرص السانحة ، وإفاتة الظروف الملائمة ؟

يخيل إلى أنه لو جد الأزهر على النحو الذى يشير به الأستاذ الشيخ محمد سليمان اليوم ، وبت فى العالم أمر من الأمور الدينية غداً ، لجاء فضيلته يملأ الجو صياحاً قائلا : أين كان الأزهر والأفكار فى إبان غليانها ، والبحوث فى أشد ثورانها ، ألا كان يجب عليه أن يزج بنفسه فى هذه المعمعة السلمية ، فيرفع شأن الاسلام كما هو به خليق ، ومنه أولى ؟

يقولون نعم ، ولكن أولى من ترجمة القرآن الاكثار من الرسائل والكتب .

هيهات ! لايعقل أن توجد أداة لنشر الاسلام تضارع القرآن ، وليس فى قدرة البشر أن يبتكروا أسلوبا كأسلوبه فى جذب العقول والأرواح . والترجمة إن حجبت إعجازه اللفظى فلا يمكن أن تحجب إعجازه المعنوى وهو الذى عليه المعول وبخاصة فى هذا العصر .

واخجلتاه ! إن بعض المسلمين يعملون على صد نور القرآن أن يملأ آفاق الأرض ، بحجج ما أنزل الله بها من سلطان ، بل بشبهات لا تمت الى العلم ولا الى العقل بأبعد صلة ، هداهم الله !

بلغاريا تنشىء كلية للغة العربية :

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان فى كلمته التى كتبها فى مقطم ٢٢ ابريل الحالى : إن حكومة بلغاريا قررت إنشاء كلية إسلامية تدرس العربية فى صوفيا لمسلميها .

يقول الأستاذ هذا وهو يعلم من قراءة تلغرافات الجرائد ، أن المسلمين يكابدون فى بلغاريا قلقا سياسيا اضطرهم للهرب جماعات جماعات الى البلاد التركية ، وكثيرا ما اضطر بوليس الحدود البلغارية لاطلاق النار عليهم . وقد أكثرت تركيا من لفت نظر الحكومة البلغارية الى ذلك .

وفضيلته يعلم أن الشيوخ الأتراك خارج تركيا ناقمون كلهم على الحكومة الكمالية ، وعاملون على تسوئة سمعتها ، ومعاكسة تجديداتها ، وأن بعض الدويلات البلقانية تشجعهم على ذلك ، ولكننا نستبعد أن تنشىء بلغاريا مدرسة لتعليم العربية ، لأنه لا يعقل أن تنشىء الحكومة هنالك كلية تنفق عليها الألوف المؤلفة وهى فى حاجة ماسة الى مثلها لتعليم أبنائها لغتهم الوطنية ، ولا تسمح لها سياستها المالية بأنفاق درهم واحد لنشر لغة أجنبية .

أندونوسيا وتعليم اللغة العربية :

يقول فضيلة الشيخ محمد سليمان : إن المسلمين فى أندونوسيا أسسوا خمسمائة مدرسة لتعليم اللغة العربية .

نقول : أندونوسيا اسم يطلق على مستعمرات هولاندة فى القارة الأقيانوسية وهى جزر جاوه وسوق وسليب وأبالجه وجزائر الملوك وأجزاء من جزر أخرى يقدر عدد سكانها بنحو ستين مليونا سوادهم الأعظم مسلمون ، وفيها جالية من عرب حضرموت وغيرها ، قصدوها للتجارة ، وأسسوا فيها مستعمرات عربية خاضعة للحكومة الهولاندية .

التعليم فى أندونوسيا فى يد الحكومة الهولاندية ، وقد سمحت للأهالى بتأسيس مدارس على طراز كتاتيبنا المصرية ، يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب الخ ، ومعظم الشعب على حالة أمية مظلمة ، وجهل مطبق ، ولهم لغة خاصة بهم لا تمت الى العربية بأضعف صلة ، ولشدة ولع الأندونوسيين بالاسلام ترجمت لهم بعض الكتب الاسلامية ، ككتاب التوحيد للامام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، وكتاب المدنية والاسلام ، وكتاب الاسلام دين عام خالد لمؤلف هذه الرسالة

فاذا كان للأندونوسيين خمسمائة مدرسة فهذا عدد ضئيل جدا بالنسبة لعددهم الضخم . فانه إذا كان فى مصر نحو عشرة آلاف مدرسة يتعلم فيها نحو مليون من التلاميذ ، والتعليم عندنا لم يبلغ الدرجة الالزامية لجميع الأفراد كما هو فى البلاد المتمدنة ، فيجب أن يكون عدد المدارس فى أندونوسيا أربعين الف مدرسة وأربعة ملايين تلميذ لتصل الى الدرجة التى نحن عليها .فأين الخمسمائة مدرسة من مثل هذا العدد ، وما قيمة ما تنتج هذه المدارس من عارفى اللغة العربية بعد دراسة أربع أو خمس سنين ، ولهجتهم أعجمية باحتة ، وأنت خبير بحظ اللغة العربية عند من تنتجهم أمثال هذه المدارس عندنا فى مثل تلك المدة ولهجتهم أصولها عربية ؟

فتمنية النفس بتعميم اللغة العربية فى بلاد المسلمين الذين لغاتهم أعجمية بمثل هذه الوسائل ، يعتبر اشتغالا بالأوهام ، وتسليا بالأحلام ، وليس ذلك من مصلحة الدين فى شيء .

إن توحيد اللغة فى أربعمائة مليون نسمة من المحالات العقلية ، ولو أمكن لسعى اليـه قبلنا الأوربيون، فان صلاتهم الاقتصادية والسيـاسـية تدعوهم لذلك ، ولـكنهم لم يعيروه أقل اهتمام ،حتى إن لغة الاسبرنتو العالمية التى وضعها (زمنهوف)، وحصر أجروميتها فى ست عشرة قاعدة فقط ، وأدخل اليها جميـع المحسنـات اللغوية ، قاصدا أن تكون لغة العالم المتمدن كله ، قد ظلت تعالج اللغات القومية خمسين سنة فلم يرفع بها أحد رأسا ، رغما عما ينتظر منها من التقريب بين الشعوب ، ومن تحقيق الوحدة المرجوة بينهم .

فالذى يتوقع أن يكون فى الشعوب الاسلامية غير العربية هـو أن تنتشر بينهم بعض اللغات الأجنبية ، مما تدعوهم ضرورة العيش لتعلمها وحذقها كما هو جار فى كل بلد من بلادهم ، أما ما لا تدعوهم ضرورة العيش اليه ولـكن تعطفهم العاطفة الدينية عليه ، كاللغة العربية ، فلا يحتمل أن ينتشر بينهم إلا بنسبة ضئيلة جدا لا يحسب لها حساب.

أندنوسيا تطلب ترجمة للقرآن :

تدليلا على كل ما ذكرناه فى الفصل المتقدم ننقل للقراء ما رأيناه منشـورا فى محليات جريدة البلاغ المصرية الصادرة فى (٢٦ ابريل سنة ١٩٣٦) وهو هذا بحروفه :

« فى الوثائق التى نشرها (البلاغ) ونشرتها الصحف فى الأسبوع المـاضى عن مشروع ترجمة القرآن الـكريم إلى اللغات الغربية ،جاء ذكر الترجمات التى أذيعت بهذه اللغات ، وما جاء فى بعضها من الخروج والتحريف وضرورة وضع ترجمة دقيقة صحيحة تشرف عليها جهة من جهات الاختصاص ،قطعا لمثل هذه الترجمات المغلوطـة ، وعمـلا على إذاعة المعاني السـامية التى تضمنهـا القرآن الـكريم

بين أهل اللغات الغير العربية من أهل الديانات الأخرى ، وبين المسلمين الذين لايعرفون هذه اللغة .

« فنقول اليوم : إن صاحب الفضيلة السيد محمد نصيف العالم المكى تلقى فى الشهر الماضى كتابا من جزائر جاوا (وهي أكبر جزر أندونوسيا) يتضمن حاجة المسلمين فيه الى مثل هذا العمل وتفكيرهم فيه .

«وخلاصة هذه الرسالةأن التعليم الشائع بين سكان تلكالبلاديقوم باللغات الأفرنجية ، وفى مدارس لاتعلم اللغة العربية . ولذلك يقرأ المسلمون وأولادهم فى تلك المدارس القرآن الكريم فى تراجم قام بهـا مترجمون غير موثوق بأمانتهم ، بل إن بعض هذه التراجم كان لها أثر فى إفساد عقائدهم ، لأن بعض القائمين بها كانوا من المبشرين أو من أتباع مذهب الأحمدية فى الهند . والذين يقرءون القرآن الكريم فى هذه التراجم لا يعرفون ذلك ، ويعتقدون أن مايقرءون هو القرآن الصحيح .

« ثم يقول صاحب الرسالة :إنه بعد أنرأى هذا التحريف فى هذه الكتب وتيقن خطرها على عقائد المتعلمين فى المدارس الافرنجية من أهل تلك البلاد ، نهاهم عن القراءة فيها ، فطلب منه بعضهم أن يتوجه الي أهل الرأى من المسلمين ، طالبا منهم العمل على نشر ترجمة للقرآن الكريم يقرها علماء المسلمين ، مع وضع تفسيرات وتعليقات وبيان ما فى بعض الآيات من الوجوه والمعانى التى تفهم من الآيات ، لأن الترجمة الحرفية بدون تفسير لا تقوم بتفهيمهم القرآن وأحكامه

« ثم قال : إن وجود هذه الترجمة ضرورى لبقاء المتعلمين فى المدارس الأفرنجية من أبناء المسلمين على حب دينهم وفهمه ، بل فيه إنقاذ لعقائدهم بوجود ترجمة يقوم بها مترجمون موثوق بهم يستغنون بها عن التراجم التى سبق وضعها ،ولأننشر هذه الترجمة بين غير المسلمين يفيد فىالبيان عن الاسلام وآداب القرآن وأحكامه ، وفى إبلاغهم الدعوة المحمدية بلغتهم .

* * *

« ونقول بعد ذلك : إن هذه الحاجة التى يشعر بها المسلمون فى جزائر جاوا

وغيرها من البلاد الاسلامية الغير العربية دفعت فريقا من علماء المسلمين الهند الذين يتقنون اللغة الانجليزية الى ترجمة القرآن الكريم مع وضع تفسيرات وتعليقات على هذه الترجمة .وقد انتهوا من ترجمة ثمانية عشر جزءا، وقد أشرنا الي ذلك من نحو ثلاثة شهور .

« وقد علمنا أنه بعد الانتهاء من ترجمة الأجزاء الباقية ستكون لجنة للاشراف على طبعها وإذاعتها .

« أما كاتب هذه الرسالة التى لخصناها قبلا فهو العلامة السيد عبد الله بن صدقة دحلان فى جاوا » انتهى ما استعرناه من البلاغ .

نقول : وقد أورد البلاغ فى العدد الصادر منه فى ٢ مايو أن جمية تكونت فى حيدراباد الدكن ، وأتى على أسماء العلماء ورجال الدولة الذين يقومون به .

هذا ما حدث من أهل أندونوسيا الذين يقول عنهم الأستاذ الشيخ محمد سليمان إنهم أسسوا خمسمائة مدرسة لتعليم أبنائهم اللغة العربية . والذين يقومون بترجمة القرآن هم علماء الهند السنيون ، وهم مشهورون بالورع ، وباحترام التقاليد الاسلامية .

الذى يؤثر من ورع علماء الهند أنهم منذ الاحتلال الانجليزى الى النصف الأول من القرن التاسع عشر كانوا يفتون بعدم جواز تعلم اللغة الانجليزية ، ودخول المدارس التى تؤسسها الدولة المحتلة ، حتي إنه لما رأى المصلح الهندى الكبير احمد خان أن إضراب المسلمين عن دخول تلك المدارس جعلهم دون الطوائف الوثنية ثقافة ، وأبعدهم بسبب جهلهم عن تولى الوظائف الحكومية ، ومشاطرة الهندوس حظهم منها ، أهاب ببنى قومه لتأسيس جامعة إسلامية ، فأفتى العلماء الهنديون إذ ذاك بأنه زائغ العقيدة لأرادته التعليم فيها باللغة الانجليزية . فقبض الناس أيديهم عن مساعدته ، وكاد يفشل فى مساعيه،لولاأن بعض راجات الهنود وأسريائهم أمدوه بالمساعدات المالية سرا ، فتمكن من إنشاء جامعة عليكرة التى كانت مصدرا لنشر الثقافة بين المسلمين هنالك ، فاستطاعوا

بفضلها أن يحصلوا على بعض الوظائف الحكومية . واستنارت أفكار الناس هنا لك ، فأدركوا أن من الدين مجاراة ناموس الارتقاء ، وأن سماحة الاسلام لاتضيق ساحتها دون طالب كمال ، وأن الأعمال بالنيات ، لا بالظواهر ولا باللغات .

اليابانيون وطبع القرآن الكريم :

يقول الأستاذ الشيخ محمد سليمان : « واليابان قد فرغت قريبا من طبع مصحفنا بلغته العربية لتنشره فى أصقاع الشرق الأقصى ».

نقول : الذى يتبادر للذهن من هذه العبارة أن اليابانيين الذين لايعرفون حرفا من اللغة العربية ، قاموا بنشر الكتاب الكريم بالعربية ، لنشره فى بلادهم وبلاد الصين و كوريه ومنشوكو وسيام الخ .

واليابانيون لو أقدموا على هذا العمل لعدوا هازلين ، وإلا فأى فائدة ترجى من نشر كتاب عربى بين قوم لايستطيعون أن يقرءوا منه حرفا واحدا ، بله أن يفهموه ؟ فهل عهد عن أمة اليابان المعروفة بالحكمة وسداد الرأى أن تقوم بعمل يوجب عليها السخرية ، ويسجل عليها السذاجة الى هذا الحد ؟

وحقيقة المسألة أنه توجد جمعية إسلامية قوامها بعض الأتراك والفرس والهنود يعملون على نشر الاسلام فى اليابان بلغة أهلها . وجلهم متنورون ويعرفون العربية ، وقد طبعوا القرآن طباقا للنسخة المطبوعة أخيرا فى دار الطباعة المصرية بأمر المغفور له الملك فؤاد الأول ، ليتداولوه بينهم وبين من يعرف العربية ممن يلتحق بهم ، لابقصد أن ينشروه بين اليابانيين الأقحاح ممن لايعرفون العربية.

أما فيا يتعلق باليابانيين أنفسهم فقد وردت أخبار على الجرائد المصرية بأن رجالا من الذين يحذقون اللغة اليابانية قائمون الآن بترجمة القرآن الى تلك اللغة ، وأن الحكومة شجعتهم على ذلك وأمدتهم بمال . وقد كتبنا أخيرا لزعيم هذه الجمعية اليابانية نستفهم منه عن المدى الذى بلغته لجنة الترجمة فى عملها العظيم الذى شرعت فيه منذ نحو عام .

رسالة الرد

على مشروع ترجمة القرآن الكريم

وقفنا على رسالة وضعها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى الشاطر قاضى محكمة شبين الكوم الشرعية بالعنوان المتقدم يعارض بها مشروع ترجمة القرآن الكريم . وقد ضمنها بحوثا وبيانات لانرى بدا من مناقشته فيها ، لأن بقاءها مسكوتا عنها بعد وقوعها فى أيدي الدهماء يوهم أن ماجاء فيها مسلم به من جميع الوجوه . وقد قدم فى رسالته أربعة عشر وجها منعيا ، لفت اليها نظر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . ونحن نلخص هذه الوجوه ونناقشه فيها واحدا واحدا فنقول :

أولا :

قال الأستاذ ما ملخصه : ليست اللغات التى يقرأ بها الانجيل اليوم هى لغته الأصلية ، ولايخفى ما فى ترجماته هذه من قصور . وقد قيل إنه اجتمع لترجمته سبعون حبرا لتعميم نشره بين الأمم ، فكانت نتيجة ذلك مع تطاول الزمن أن ذهبت اللغة الأصلية والناطقون بها ، وذهب الأصل إلا بعضا منه فى بعض المكاتب .

نقول :

ماذكره الأستاذ خطأ كله ، فلا يوجد نصراني في العالم يعتقد أن الله أنزل على عيسى عليه السلام كتابا اسمه الانجيل بلغة إلهية ، اجتمع لترجمته سبعون حبرا . ولكنهم يقولون بوجود أناجيل عديدة كتبها جماعة من كبار أتباع المسيح لنشر تاريخ حياته ، من يوم ميلاده الى يوم وفاته ، واستيعاب جميع ما فاه به من التعاليم والوصايا .

جاء فى الموسوعة الصغرى للعلامة « لاروس » قوله : « الانجيل بل الأناجيل هى الكتاب المقدس المؤلف من أربع روايات وضعها القديس متى

والقديس مرقص والقديس لوقا والقديس يوحنا ، وقد ضمنوها حياة المسيح ومذهبه » انتهى .

وقد كانت توجد أناجيل كثيرة فى العالم المسيحي ضمنت حياة المسيح وتعاليمه منها « إنجيل ميلاد مريم وطفولة المسيح » وضعه متى ،وكان منتشراً فى القرون الوسطى ، وهو موجود بالمكتبة الوطنية بباريز . و « إنجيل توما » وموجود بمكتبة فينا . و « إنجيل جاك الأصغر » و « إنجيل نيكوديم » وكان شائعاً فى القرون الوسطى ، وأثر ما لم تؤثره الأناجيل الأخرى على الآداب ، من جهة الاقتباس والاستشهاد . و « إنجيل الطفولة » وهو منسوب للحوارى بطرس و « إنجيل مرسيون » . و « إنجيل برنابا » الخ الخ .

المسيحيون لا يرون بأسا من تعدد هذه الأناجيل لأنها معتبرة عندهم كتبا وضعت لرواية حياة المسيح وتعاليمه . ولكنهم قرروا فى مجمعهم أن المعتمد منها أربعة وقد كتبت بوحي من الله لواضعيها القديسين متى ومرقص ولوقا ويوحنا .

نعم إن الأصول الأولى لهذه الأناجيل قد فقدت ، ولكن المسيحيين لا يرون فى هذا ضيرا ، كما لا نرى نحن بأسا فى ضياع النسخ الأصلية للسير النبوية وصحيح البخاري وجميع الكتب الاسلامية .

هذه حقيقة موقف النصارى من أناجيلهم ، وبتجليها يسقط بناء البحث الأول الذى اتخذه الأستاذ مؤلف الرسالة معولا لهدم مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم . فلننظر فى الوجه الثانى :

ثانياً :

قال الأستاذ القاضى ما موجزه : « إذا جاز للمصريين أن يترجموا معانى القرآن فانه يجوز ذلك أيضا للهنود والعراقيين والحجازيين وغيرهم . أفلا تكون فى الأسواق الأوربية جملة تراجم متخالفة للقرآن . وحينئذ يقال مثلا إن الترجمة الهندية خير من الترجمة المصرية أو العكس . وإذا وقع ذلك حصلت

الطعون فى التراجم والقرآن . وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ، ولا يمكن حمل النـاس على أصحها كما لم يمكن حملهم على إنجيل برنابا الذى يقال إنه أصح الأناجيل » .

نقول :

هب أيها الأستاذ أن الشعوب الاسلامية تتنافس فى ترجمة القرآن ، وهذا بعيد يقرب من المحال ، ولكنا نسلم به جدلا . فاذا حصل فلن يكون بينها خلاف ، لأن الترجمة المصرية مثلا ستعتمد واحداً من المعانى التى تحتملها بعض الآيات ، وتشير الى بقية الاحتمالات فى الهامش ، فاذا اعتمدت الترجمة الحجازية معنى آخر فهي مضطرة إلى ذكر بقية الاحتمالات فى الهامش أيضا ، فيكون المعنيان المختـاران ماثلين فى كل نسخة ، أحدهما فى الهامش والآخر فى الصلب ، ويكون ذلك فى نظر الأجانب موضع إعجاب فى التدقيق وتحرى الصواب .

يقول الأستاذ : إذا حدث ذلك حصلت الطعون فى التراجم والقرءان ، وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ولا يمكن حمل الناس على أصحها كما لم يمكن حملهم علي إنجيل برنابا .

نقول : إن الأستاذ جار على ما فهمه من أن الأناجيل تراجم للانجيل الالهى الأول ، وأنه مطعون فى صحتها عند الأوربيين . وقد بينا له فى الفصل المتقدم أنه لا وجود لهذه المسألة عند النصاري ، وليس فيهم من يقول إن إنجيل برنابا أصح ترجمة للانجيل ، فليس إنجيل برنابا بترجمة ولكنه سيرة للمسيح كسائر الأناجيل وضعها برنابا تلميذ القديس بولس المتوفى سنة ٦٧ ميلادية . ولم يقل أحد من النصاري إن إنجيله أصح الأناجيل ، بل قالها المسلمون بمعنى أن ما ذكره موافق للقرآن الكريم .

هذه حال الوجه الثانى الذى يستخدمه الأستاذ فى هدم المشروع الجليل ، فلننظر فى الوجه الثالث :

ثالثا :

قال الأستاذ ماختصره : « إذا ترجم معنى القرآن الى الانجليزية ثم ترجمت هذه الترجمة الى الفرنسية ، فما الرأى إذا تغير المعنى الأصلى فى الترجمة الثانية ؟ وما ذا يكون الحال إذا تنازع قارئان مسلمان أحدهما معتمد على الترجمة الانجليزية والآخر على الفرنسية ، فادعى أحدهما أن هذا المعنى أو ذاك غير موجود فى القرآن ، وادعى الآخر العكس ، أفلا يعتبر واحد منهما كافرا لامحالة ؟ كذلك يقال إذا كان فى الترجمة الانجليزية خطأ وأعيد طبعها وتكرر ذلك الخطأ » .

نقول :

الأستاذ يفترض أن الرجلين مسلمان ، فاذا كان كذلك فلا يوجد مسلم على سطح الأرض يتعصب لترجمة مأخوذة من ترجمة أخرى ، لم تعتمدها جهة رسمية ، وبخاصة لونازعه منازع فى صحة ماهو بين يديه من الترجمة المأخوذة عن ترجمة أخرى لاعن الأصل العربى مباشرة . فهل يصح أن يفترض المحال لتأييد الآراء ؟ ولو سلمنا بأن مغفلا أو معتوها ارتضى لنفسه مثل هذا الشطط أفتعطل دعوة الاسلام العالمية لمثل هذه العلة التافهة ؟

وإذا ساغت أمثال هذه الافتراضات ، فلم لانفترض أن كاتبا للقرآن أخطأ فى كتابة كلمات غيرت منه معني عدة آيات ، ولا تخفى سذاجة النساخ ، فوقع هذا المصحف فى يد مسلم فقرأ هذه الآيات خطأ ، فلما أراد سامع له أن يرده الى الصواب أصر على مافى مصحفه من هذه الأخطاء واعتبر كافرا . أفنقرر لهـذا السبب التافه عـدم جواز كتابة القرآن بأيدى المحترفين بهذه الصناعة وغير المحترفين بها أيضا ؟

رابعا :

قال الأستاذ فى رسالتـه ماحصله فى استشكاله الرابع : « إذا أجيز نقل القرآن الي اللغة الانجليزية ، أجيز نقله الى اللغة السودانيـة ، فهل يضمن أن لايقرأ السودانى بعض القرآن بلفظ عربى وبعضه بلغته السودانية ؟ وفى هذا

تبديل وتغيير لألفاظ القرآن ، ويتبع ذلك اختلاف فى معانيها . وقد يتفق لبعض المتمدينين بمصر مثل ذلك ، فيقرءون منه ألفاظا بالعربية وأخرى بالانجليزية . فاذا اعترض عليهم احتجوا بأن المشيخة تبيح قراءته باللغتين . فهل لجنة الترجمة أو مشيخة الأزهر تستطيع أن تضع للناس قواعد يلزمون بالسير عليها ؟

نقول :

إن هذا وجه استقطره الأستاذ من مادة المعارضة استقطارا متكلفا ، ولو صح أن يبنى على مثله حكم لامتنع الناس من عمل ضروريات كثيرة ، لأنه يمكن أن يقال إن إباحة بيع المصاحف فى المكتبات يفضي الى وقوع نسخ منه فى أيدى بعض الكفرة فيضعونه فى بؤر النجاسات ، وعليه فيجب تحريم بيع المصاحف فى المكتبات ، إلا لمن بيده شهادة من جهة الاختصاص بأنه مسلم حسن الاسلام .

ويمكن أن يقال : إن ماغصت به كتب الحنفية من جواز الصلاة بالقرآن مترجما لمن لايحسن العربية يمكن أن يفضى الى أن بعض الذين يحسنونها يصلون بالتراجم الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية وغيرها ، وعليه فيجب على الحكومات الاسلامية محو هذا الفصل من كتب الحنفية وعدم السماح بدخول تراجم القرآن الأجنبية .

ويمكن أن يقال : قد تقع بعض الكتب التى ذكرت الفرق الاسلامية فى أيدى من لايفهم الردود عليها فيصبح بسببها إباحيا أو مشبها أو دهريا فيكفر ، فيجب إبادة تلك الكتب وعدم السماح بطبع أمثالها .

ويمكن أن يقال غير هذا مما لو تابعنا الخيال فيه وجرينا عليه واستطعنا تنفيذه لأصبح الناس فى ظلام حالك من الجهل ، ولكانوا هم والسوائم فى حضيض واحد من العماية .

ولكننا نطبع القرآن بالعربية ، وننشط الناس على اقتنائه ، غير مبالين أن يكون فيهم كافر أو زنديق يفعل به مابدا له ، فان حسابه عند ربه ، وهو المسئول وحده عما جنت يداه .

وننشر كتب الحنفية والكتب التى تذكر الفرق والنحل ، ونعمل على

ترويجها لهداية الناس ، غير مكترثين أن تقع فى يد غبي أو مغفل فيصبأ إلى بعض تلك المذاهب ، فتبعته على نفسه .

وكذلك نترجم معانى القرآن للذين لا يعرفون العربية غير آبهين أن يخلط بين الكتاب المنزل والمترجم طائش متهوس ، فان طائره فى عنقه .

فمن الذى يستطيع أن يلزم الناس بأدب لم يكتب إلا للأكرمين من خلق الله ، وكيف يعقل أن تمتنع الأمم عن القيام بالواجبات الثقافية خوفا من تخليط الحمقى والطيش من أبنائها ؟

خامساً :

اليك الآن مجمل ما قاله الأستاذ فى الوجه الخامس ، قال : « إن المفسرين ما زالوا قاصرين مقصرين فى معرفة معانى القرآن ، فانه لا تنقضى عجائبه ولايدرك غوره . وقد يكون لواحد رأى فى آية ولغيره رأى آخر فيها ولكليهما وجه صحيح وحجة . فعلى أى معنى تختار اللجنة واحداً من هذه المعانى وبأى قانون ترجحه على غيره ؟

« وإذا رجحنا رأيا وترجمناه ثم ظهر لنا أن رأيا آخر أصح منه أفنغير الترجمة فيقول الناس إننا نغير فى قرءاننا ، أم نترك الخطأ على حاله ؟

« مثال ذلك : قال الله تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ، فسر بعضهم الزوجين بالصنفين . ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى . فاذا ترجم القرآن بالمعنى الأول ، ألا يكون هذا المعنى قد أضاع علينا هذه المعجزة ؟

« وقال تعالى فى سورة يوسف : « لولا أن رأى برهان ربه » ، فسرها بعض المفسرين بأن المراد بالرب هنا الله . فاذا ترجم هذا المعنى ثم ظهر أن المراد بالرب هو سيد البيت أفنبقى الخطأ أم نغيره ؟

« وقال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت — الآية » ، فاذا ترجم تثير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع المعنى

البديع الذى يفهم من لفظ تثير ، لأن الاثارة هى التهييج الحسى والمعنوي . وهو مبدأ عمليـة التبخير وتـكوين الأمطار . وفرق بين معني فتسوق سحابا ، الى بلد ميت وبين معني فتثير ما يؤول إلى سحاب فسقناه إلى بلد ميت . هـذا المعنى لم يظهر إلا حديثاً وهو إحدى معجزات القرآن .

« وقال تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد » فسر ذى الأوتاد بـكثرة الجنود . أو بأنها أوتاد أربعة كان فرعون يعذب بها الناس . فاذا ترجم هـذا المعنى ضاع المعنى الجليل الذى يدلنا عليه التاريخ ، وهو أن الأوتاد هى هـذه الأهرامات لأنها تشبه الجبال وقد عبر الله عن الجبـال بالأوتاد فقال : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » ، وكنا معرضى القرآن لتـكذيب المؤرخين لأنه لم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنوداً حتى يوصف بهذا الوصف دونهم ، ولا أنه كان يعذب الناس بأوتاد .

« وقال تعالى : « والأرض بعد ذلك دحاها » فاذا ترجم دحاها بمعنى بسطها ضاع المعنى الذى يؤخذ من الدحو وهو التـكوير .

« وكذلك إذا ترجم : « يكور الليل على النهار ويـكور النهار على الليل » بالمعنى الذى يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذى يفهم من الآية وهو كروية الأرض . وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن .

« وقال تعالى : « حتى توارت بالحجاب » فسرت بتوارى الشمس خلف الحجاب ، وبأن سليمان عليه السلام عاقب الخيل التى شغلته عن الصلاة بتقطيع أيديها وأعناقها . فاذا ظهر لنا أن المعني الصحيح هو أنه لمـا عرضت عليه الخيل أعجبته وكانت سببا فى شكر ربه . فلما اختفت عنه وراء الحجاب أمر بردها ليلاطفها ، ويمسح بيده على أعناقها وسوقها ، قلنا إذا ظهر لنا أن هذا المعنى هو الحق أفنغير الترجمة الأولى أو نعمل ترجمة غيرها فنـكون قد قلدنا النصاري فى تعدد الأناجيل ؟ »

نقول :

نحن نعتقد أن القرآن كتـاب لا تنقضى عجائبه ، ولا يدرك غوره ، كما

يعتقد الأستاذ ، ولكننا لا نذهب بالغلو فى هذا المعنى إلى درجة التعطيل ، واعتباره طلسما تضل العقول فى فهمه ، ولا تصل منه إلى حقيقة ثابتة ، فان هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه، فقد وصفه فى غير آية بأنه آيات بينات ،وبأنه منزل ليتدبر الناس هذه الآيات ، حتى قال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » قال المفسرون أى سهلناه للاتعاظ . وكرر هذه الآية أربع مرات فى سورة واحدة . فلا يجوز أن ندعى أن ما يسره الله للتذكر والاتعاظ معمى لا يمكن فكه ، وطلسم لا يستطاع حله .

نعم إن المفسرين بعد القرنين الأولين تذرعوا بالفنون الآلية التى وضعوها لضبط قواعد اللغة ، من نحو وبيان وبديع ومعان ، إلى زيادة التعمق فى تمحيص المدلولات القرآنية تحت ضوء هذه العلوم ، فتعددت مدلولات بعض الآيات لهذا السبب ، وأكثر هذا التعدد آلى محض ، ولكن المعانى لم تخرج قط عن دائرة الفهم ، فلم يدع أحد أن القرآن لم يفهم فى عصر من العصور ، اللهم إلا الآيات المتشابهة ، وقد أمر المسلمون أن يحاولوا تأويلها لا فهم معناها ، خشية عليهم من شر الاختلاف فيها والذهاب فى أمرها كل مذهب .

وكيف يمكن أن يقال إن محكمات القرآن لم تفهم على حقيقتها وقد انبنى عليها الدين كله عقائده وعباداته ومعاملاته ؟

فاللجنة التى ستدعى لترجمة القرآن ستنظر فى المعانى التى قررها أئمة المفسرين للآيات ، فان آنسوا فى بعضها خلافا بينهم عمدوا إلى اختيار مارضيه جمهورهم مشيرين فى الهامش الى بقية الاحتمالات . فتكون الترجمة قد استوعبت جميع الآراء ، ولا يعقل أن معنى الآيات يخرج عنها بوجه من الوجوه . فلا محل والحالة هذه لقول الأستاذ : « وإذا رجحنا رأيا وترجمناه ثم ظهر لنا أن رأيا آخر أصح منه أفنغير الترجمة ؟» . نعم لا محل لهذا الاحتمال ، وإلا دب الشك إلى المسلمين فى عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، فان شبهة الأستاذ ترد على مافهمه الأئمة المجتهدون منه أيضا . وهذا خطب جلل لم يجرؤ على مثله أحد فى الاسلام وما دفع الأستاذ اليها إلا هواه فى معاكسة المشروع .

ولكن يظهر مما أورده الأستاذ من الآيات أنه لا يريد بما يقول معنى آيات العقائد والعبادات والمعاملات — وإن كان لم يستثن فيما قال — وإنما أراد الآيات الكونية والتاريخية والتشابهات . وهذه أيضا لا تضرها الترجمة بوجه من الوجوه ، فان اللجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللفظ العربى ولا تتعرض لشرحها ، فمثل قوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » ، مثل هذه الآية تتولاها لجنة التفسير فتعطى معناها الصحيح للجنة الترجمة لتترجمه ، دون أن تتعرض لما تشير اليه الألفاظ من الدلالات العلمية ، ولكنها تجتهد فى ترجمة كلمة تثير مثلا بجميع خصائصها اللغوية ، تاركة دلالاتها العلمية لعقول القارئين ، تفاديا من الوقوع فى مثل الخطأ الكبير الذي وقع فيه الأستاذ صاحب الرسالة فى هذا الوطن نفسه ، كما سيجىء بيانه ، وحفظاً للقرآن الكريم مما عسى أن يرجع عنه العلم من مقرراته الحالية ، وهو دائم التغير كما هو مشاهد من الاطلاع على تاريخه .

فنحن نترك كليات القرءان على ماهى عليه من الاطلاق لنأخذ منها العقول ما يتاح لها فهمه تحت ضوء العلم فى جميع العصور . فاذا رجع العلم عن شىء من مقرراته إلى مقررات أخرى فلا نكون قد أسأنا الى كلام الله بصرفه على معان معينة قابلة للتحول ، تبعا للمكتشفات الطارئة . وهنا يسوغ لنا أن نقول : إذا جرينا على مذهب الأستاذ من الشرح ورجع العلم عن رأيه الأول أنعيد إذ ذاك ترجمة القرءان أم نترك الترجمة على خطئها ؟ ولكن الترجمة على الأسلوب الذى نذكره لا تجعل محلا لمثل هذا الندم بعد التورط فى الخطأ .

نظرة فى الآيات التى أوردها الأستاذ :

أورد الأستاذ سبع آيات استشكالا على مشروع ترجمة معانى القرءان ، وقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يخطىء فيها جميعا ، فكان خطؤه هذا دليلا

محسوسا على صحة ماذهب اليه من ترك كليات القرآن مطلقة ، وعدم تقييدها بأمور محدودة . ونحن نسردها واحدة واحدة دالين على وجوه الأخطاء فيها :

الآية الأولى :

أورد الأستاذ قوله تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ثم قال : « فسر بعضهم الزوجين بالصنفين ، ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى ، فاذا ترجم القرآن بالمعنى الأول ألا يكون هذا المعنى قد أضاع علينا هذه المعجزة ؟ » .

نقول :

قال المفسرون : زوجين هنا بمعنى صنفين ، أى حلو وحامض أو كبير وصغير أو أبيض وأسود الخ . وهذا التفسير أوجه وأصح من تفسير الأستاذ ، لأن الذكورة والأنوثة هما من أعضاء الأزهار لا الثمار . فقد يكون هذان العضوان فى زهرة واحدة ، وقد يكونان فى زهرتين مختلفتين من شجرة واحدة ، وقد يكونان فى زهور شجرتين مستقلتين . أما الثمار فليس فيها ذكر ولا أنثى على الاطلاق .

وقد كان هذا الازدواج النباتى معروفا من أقدم العهود ، حتى إن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه ، فكانوا يلقحون إناث النخل بالطلع المستخرج من ذكورها ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يلقحون نخلهم فقال لهم : لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلم يثمر ، فشكوا اليه ، فأمرهم أن يعودوا لما كانوا عليه ، قائلا لهم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

والذى يدل دلالة قاطعة على أن المراد بالزوجين الصنفان ، لا الذكر والأنثى ، قوله تعالى عند ذكر الجنتين اللتين وعد بهما المتقون : « فيهما من كل فاكهة زوجان » أي من كل نوع من الفاكهة صنفان ، ولا يمكن صرفه بحال من الأحوال الى المعنى الذى يريده الاستاذ ، لأن المقام مقام تشويق للذات

الأخروية ، لامقام استدلال على وجود القدرة الالهية ، بلفت الأنظار الى الحكمة التكوينية .

ولا يعقل أن الله تعالى يعزو ماهو خاص بالأزهار الى الثمار ، لأن ذلك فضلا عن مناقضته للبلاغة التعبيرية ، يتنافى والحقائق العلمية .

الآية الثانية :

قال الأستاذ : « قال الله تعالى : « لولا أن رأى برهان ربه » فسرها بعض المفسرين بأن المراد بالرب هنا الله . فاذا ترجم هذا المعني وظهر أن المراد بالرب هو سيد البيت أفنبقى الخطأ أم نغيره ؟ »

نقول :

كيف يعقل أن يتضح فى يوم من الأيام أن المراد من « برهان ربه » هنا برهان سيد البيت الذى اشتراه ، وليس فى الآية مايدع محلا لأقل احتمال من هذا القبيل ؟ قال الله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » فأى برهان يملك أمير وثنى ، يستطيع أن يدلى به لنبي ، فى مزدلق خطير من مزدلقات الطبيعة البشرية ، ليقيمه على عصمة لايملكها لنفسه ؟

واذا كان البرهان المذكور هو برهان سيد البيت لابرهان الله ، فكيف يسوغ أن ينسب الله أثره على يوسف لنفسه فيقول : « لنصرف عنه السوء والفحشاء » ؟

ومن الدلائل القاطعة على أن المراد من لفظ الرب الله جل شأنه ، أنه أضاف لفظ برهان الى نفسه فى غير آية من القرآن ، فقال : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » وقال : « فذانك برهانان من ربك » ولم يضف هذه الكلمة لغيره فى القرآن كله .

ومما يؤيد تفسيرنا هذا ما قاله الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم »

هذه محاولات لا تجدى نفعا ، ولا يقام لها وزن، ولا تفيد فى عرقلة مشروع الترجمة وزن خردلة ، ولكنها تنم عن ضعف فاضح لأدلة المنع يسوء وقعه عند المدلين بها وعند أشياعهم .

الآية الثالثة :

قال الأستاذ القاضى : « وقال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت » فاذا ترجم تثير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع المعنى البديع الذى يفهم من لفظ تثير وهو عملية التبخير وتكوين الأمطار، وهذا المعنى لم يظهر إلا حديثا وهو إحدى معجزات القرآن » .

نقول :

المعروف فى علم الطبيعة أن الذى يحدث التبخير فى المياه والرطوبات عاملان: الحرارة المركزية للأرض ، والحرارة الجوية للشمس . أما الرياح فلا تأثير لها فى التبخير ، ولم يقل بذلك أحد على سطح الأرض . فاذا فسرت عبارة تثير سحابا فى الآية الشريفة بعبارة تحدث تبخيرا فتؤلف سحابا ، كان هذا المعنى موجبا للسخرية عند جميع الذين قرءوا على الكيمياء والطبيعة والميتيورولوجيا (علم الظواهر الجوية) من أهل العصر الحاضر . وهل من شىء أسوأ وقعا فى النفس من نسبة المعلولات إلى غير عللها ؟ وهل تتصور جريمة أكبر تبعة من نسبة هذه الجهالات الى الله نفسه ، بتأويل مالا يقبل التأويل من كلامه ؟

هذا وقد كان العلماء يعرفون أن الأبخرة الأرضية هي المؤلفة للسحب قبل مبعث عيسى عليه السلام بنحو خمسمائة عام ، وقد نصت عليها كتب الطبيعيات لطاليس وديموكريت وأرسطو وغيرهم . فليست هذه المسألة بثمرة من ثمرات المكتشفات الحديثة .

الآية الرابعة :

قال الأستاذ : « وقال تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد » . لو فسر بكثرة الجنود ، أو بأنها أوتاد كان فرعون يعذب بها الناس ، ضاع المعنى الجليل الذى ـلنا عليه التاريخ ، وهو أن الأوتاد هى هذه الأهرامات ولم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنودا الخ » .

نقول :

إن العالم كله كان يعرف أن فى مصر أهرامات بناها الفراعنة الأولون منذ نحو خمسة آلاف عام ، فليس فى التنويه بها كبير شىء حتى يوصف بأنه معنى جليل يضيع علينا بجهل المفسرين له .

لننظر الآن هل فى إطلاق لفظ الأوتاد على الأهرام شيء من الجمال المعنوي الذى يصح نسبته إلى الكلام الألهى ؟

نعم : إنه سبحانه وتعالى قال : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » تشبيها لها بأوتاد الخيمة ، إذ تخدم فى منعها من الميدان ،كما تخدم أوتاد الخيمة فى ذلك . ولكن أى فارق بعيد بين أصغر تل فى الأرض وبين أطول هرم من الأهرام ؟ إن ارتفاع الهرم الأكبر لا يجاوز مائة وخمسة وأربعين مترا ، وطول قاعدته لا يزيد عن ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مترا ، فأين هو من جبل حملايا الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف وثمانمائة متر ويشغل شمال الهندكله ، أوجبال أنده فى أمريكا الجنوبية التى يبلغ طول قاعدتها نحو سبعة آلاف كيلو متر وارتفاعها بضعة آلاف من الأمتار ؟

لاجرم أن هذه الجبال يصدق عليها أن تسمى أوتاداً للأرض ، أما الأهرام وهى لا تساوى فى طولها وعرضها أصغرتل فى الأرض ، فلا تصلح أن تسمى أوتادا لها ، والله يتنزه عن مثل هذه المبالغات الكلامية .

ثم إن هـذه الأهرام جعلت قبورا للذين بنوها من الفراعين ، ولم يكن فرعون موسى من الذين شيدوها ، بل كان بينه وبين أحدثها نحو ثلاثة آلاف عام ، فلا تصح نسبتها اليه وهو لايملك حتى ولا أن يدفن فيها .

أما التفسير الصحيح لهذه الآية والذى تشير اليه بقيتها فهو ما قاله المفسرون من أن « ذى الأوتاد » كناية عن كثرة جنوده . قال الله تعالى : « وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد » ، فذكر الطغيان فى البلاد هنا وإكثار الفساد فيها يدل دلالة صريحة على أن المراد بذى الأوتاد الكناية عن كثرة الجنود .

يقول الأستاذ : « إن فرعون لم يكن أكثر الملوك جنودا » . نقول : بلى ثبت ذلك . فان الفراعنة فى أيام دولتهم كانت لهم الزعامة الحربية فى الأرض . وهذا مما لا يختلف فيه اثنان .

على أن الآية تدل على كثرة جنوده فحسب ، ولا تدل على أنه كان أكثر الملوك جنودا ، فلا وجه لاعتراض الأستاذ من هذه الناحية أيضا .

الآيتان الخامسة والسادسة :

قال الأستاذ : « وكذلك إذا ترجم : « والأرض بعد ذلك دحاها » بمعنى بسطها ضاع المعنى الذى يؤخذ من الدحو وهو التكوير » .

قال : « وكذلك إذا ترجم : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » بالمعنى الذى يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذى يفهم من الآية وهو كروية الأرض وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن » .

نقول :

لم يرد فى اللغة قط أن الدحو بمعنى التكوير ، وإنما هو بمعنى البسط . وأما التكوير فهو اللف ، فيقال كور العمامة أي لفها . ويقال كور المتاع أى جمعه وشده ولفه على جهة الاستدارة ، وعبارة الأساس : وضع بعضه على بعض .

والذى قاله المفسرون : « والأرض بعد ذلك دحاها » أى بسطها ومهدها للسكنى ، ويدل على صحة هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك : « أخرج منها ماءها ومرعاها » ، والمقام مقام تذكير بنعم الله على الانسان وبتهيئته الأرض له ، لا مقام الدلالة على شكل الأرض .

وقال المفسرون فى تفسير : «يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل» أى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس باللابس ، أويغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة . أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة (البيضاوى) .

هذا هو زبدة ما قاله المفسرون ، ويدل عليه قوله تعالى : «يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، فأيلاجه أحدهما فى الآخر هو إغشاؤه أحدهما الآخر . وقال تعالى : « يغشى الليل النهار » أى يغطيه به . ولا يؤخذ منه من طريق قريب أو بعيد أنه يشير الى كروية الأرض . فاستقطار الكلام على هذا الوجه يخرجه عن حقيقته ، ويجعله قابلا لجميع الاحتمالات بدون أن يمت اليها بسبب . ولا ندرى نحن ما الموجب لهذا الجهدالمضنى كله ؟ ألاثبات معجزةعلمية للقرآن من ناحية كونه نبه إلى كروية الأرض قبل أن يفطن إلى ذلك أحد ؟

فليريحوا أنفسهم،فان تاريخ المقررات العلمية قد أثبت أن سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم قد قالوا بكروية الأرض قبل ظهور المسيح بأكثر من أربعمائة سنة ، بل نقل عن كبير الفلاسفة فيثاغورس الذى كان عائشا قبل المسيح بنحو خمسة قرون أنه لم يقل بكرويتها فحسب ، ولكن بدورانها أيضا حول الشمس . وخالفه فى ذلك الفلكى اليونانى الاسكندرى الكبير (بطليموس) ، الذى كان عائشا قبل المسيح بقرن ونصف قرن ، فانه مع تسليمه بكرويتها لم يسلم بدورانها حول الشمس . وبقى مذهبه شائعا حتي نبغ الفلكى البولونى المشهور كوبرنيك الذى كان عائشا فى القرن السادس عشر ، فقرر صحة مذهب فيثاغورس وأيده بالأدلة الرياضية .

الآية السابعة :

قال الأستاذ : « قال تعالى : «حتى توارت بالحجاب» ، إذا ترجم المعنى الذى يقوله المفسرون من أن الشمس غابت فى الحجاب ، وبأن سليمان عليه السلام عاقب الخيل بتقطيع أيديها وأعناقها لأنها ألهته عن الصلاة ، ثم ظهر لنا المعنى الصحيح الذى لا يقبل العقل سواه ، وهو أنه لما عرضت عليه الخيل أعجبته

وأحبها لأنها كانت سببا فى شكره ربه ، فلما اختفت عنه أمر بردها اليه ليلاطفها بالمسح بيده على أعناقها وسوقها ، إذا حدث ذلك أفنغير الترجمة أم نعمل غيرها فتكون قد قلدنا النصاري فى تمدد الأناجيل ؟ » .

نقول :

إننا نأتى بنص الآيات أولا ثم نحاكم الأستاذ اليها . قال الله تعالى : «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ؟ (لأنهم ملائكة هبطوا عليه من السقف) ، قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ، وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (أى وتاب) فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

ثم قال تعالى : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (أى رجاع الى الله بالتوبة) ، إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ، (العشى قبيل المغرب) فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ، (أى آثرت حب المال على ذكر ربى حتى احتجبت الشمس وفاتت الصلاة) ، ردوها على ، فطفق مسحا بالسوق والأعناق »

مجرد النظر فى توالى هذه الآيات ، يدل على أن الله يذكر صفات الأنبياء فى سرعة الرجوع عما يبدر منهم من بعض الهنات ، والعصمة المطلقة لله ، فذكر أولا أن داود كان يريد أن يضيف امرأة أحد أتباعه الى نسائه التسع والتسعين ، فطلب الى زوجها أن يتنازل له عنها ، فأرسل الله اليه ملائكة يختصمون أمامه فى مسألة من جنس ماهو واقع فيه . فكان حكمه : « لقدظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه » ، وعند نطقه بهذا الحكم أدرك أن الله قد فتنه بما طلبه من أحد رعاياه ، « فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » أى وتاب .

ثم ثنى هذه القصة بقصة ابنه سليمان بعد أن وصفه بأنه أواب أى تواب ، وتتلخص قصته فى أنه عرضت عليه خيل جياد قبيل الغروب فأعجب بها حتى شغلته عن الصلاة فاستعادها اليه . وقد اختلف المفسرون فى مسح سوقها وأعناقها ، فقال بعضهم : أى أخذ يضرب سوقها وأعناقها بالسيف . وقال بعضهم : بل أخذ يمسح هذه الأعضاء بيده ملاطفة لها .

فالذى يتبادر للذهن من أول نظرة أن تأويل الأستاذ القاضى غير صحيح ، فقد بدأ الله الكلام فيه بأن سليمان كان أوابا أى توابا من ذنوبه . ثم أخذ يحكى ما حدث منه دليلا على أنه كان متصفا بهذه الفضيلة . فذكر أنه قد عرضت عليه جياد صافنات فأخذ يتأملها ، ثم لما تبين له أنها ألهته عن العبادة قال : «إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب» أى إنى قد آثرت حب المال على الصلاة حتى غابت الشمس ، فأمر بردها اليه وأخذ يضربها بسيفه احتقارا لشأنها فى جنب الصلاة .

هذا التفسير لا يمكن بحال من الأحوال أن يعدل عنه ، لأن نص الآية يحول دون غيره . فليطمئن الأستاذ بالا فلن يتضح فى يوم من الأيام أن تأويله مما يمكن قبوله مهما تمحل له من الأسباب .

المعجزات العلمية للقرآن الكريم :

إننا مع اعتقادنا الجازم بأن القرآن حافل بالمعجزات العلمية ، ورغما عن أننا سبقنا جميع المتكلمين فى الاسلام فأثبتنا عددا عظيما منها فى عشرات من المقالات نشرناها ، إلا أننا لا نجوز لأنفسنا أن نعالجها علاجا عنيفا ، وأن نستقطر الكلام لها استقطارا ، فان ذلك يعد إخلالا بالأدب الواجب للكلام الالهى ، ويفضى الى كثرة الجدل فيه بين المثبتين والنافين ، وليس هذا من مصلحة الاسلام فى شىء .

وإن من الخطر العظيم أن يعالج الكلام فى الآيات على هذا النحو ، رجال لم يطلعوا على تاريخ المقررات العلمية ، فيحكموا بسبق القرآن الى تقرير حقائق اهتدى اليها العلماء والباحثون قبل نزول القرآن ، فيتذرع الخصوم بذلك الى الطعن فى كفاياتنا العلمية ، ويتهموننا بنقائص نجد أنفسنا عاجزين عن التبرؤ منها

وقد رأى القراء أن كل ما قرره الأستاذ صاحب الرسالة من سبق القرآن الكريم اليه ثبت خلافه ، فضلا عما ذهب اليه من الآراء المناقضة للعلم الطبيعى نفسه فى تعليل بعض الظواهر . فهذا ليس بكبير فحسب ، ولكنه على جانب عظيم من الاضرار بالدعوة الاسلامية ، حتى فى البلاد العربية ، فان المتعلمين متى آنسوا أن الذين يقومون على صيانة العقائد لا بصر لهم بالمقررات العلمية الى هذا الحد ، تتداخلهم الشبهات فى كفايتهم ، ويحملهم ذلك على التشكك وإساءة الظن بكل ما يجئ من ناحيتهم .

ولو ترجمت أمثال هذه الهنات الى لغة أجنبية كان أثرها بعيدا فى الابعاد عن الاسلام للسبب المتقدم عينه .

فالقرآن ثرى فى ناحية الاعجاز ثروة لا يمكن تقديرها ولا على وجه التقريب ، ولكن هذه الناحية لا تتجلى إلا لأهل البصر البعيد فى العلم والفلسفة ، وتاريخ تطورات العقلية الانسانية ، وإنهم ليشكون العجز ، ويعترفون بالتقصير ، ويودون لو أوتوا قوات معنوية فوق قواتهم ليدركوا بعض ما قدر للناس إدراكه من هذا النور السماوى الكريم .

سادسا :

نأتى الآن على الاستشكال السادس من الأربعة عشر استشكالا التى أوردها الأستاذ صاحب الرسالة ، فاليك فحواه : « إن أغلب (فضيلته يقول أغلب) آيات القرآن قد اختلف فى معناها وقد يذكرون للجملة الواحدة معانى عديدة ، فهل عمل اللجنة ترجمة جميع تلك المعانى أو واحد منها . فان كان الأول اتهم الأوربيون المسلمين بأنهم مترددون فى فهم قرآنهم . وإن كان الثانى فربما كان ذلك المعنى غير مراد أو يثبت العلم فى المستقبل أنه غير صحيح » .

نقول :

إننا أبدينا رأينا فى مثل هذه الشبهة فى الوجه المتقدم ، وقلنا إن تلك الخلافات فى المعانى حدثت بسبب ما طبق عليها من العلوم الآلية التى وضعت فى القرن الثانى ولكنها لم تخرج الكلام عن دائرة الفهم ، فنحيل القارئ اليه .

سابعا :

قال الأستاذ ما مؤداه : « إن النظم المعجز للقرآن جزء من ماهية القرآن فهل فى إمكان اللجنة أن تترجم معنى القرآن بما فيــه هذا الجزء ، أو يتركونه فتجيء الترجمة خالية منه وهو بمثابة الروح للقرآن ، والجسد بدون الروح لا فائدة فيه » .

نقول :

أما ترجمة القرآن الى لغة أجنبية بنظم معجز فهذا ما لا سبيل اليه ، وإنما المراد ترجمة معانيه فقط ، وقد أجاز الحنفية ذلك ولم يجعلوا النظم المعجز ركنا ، ولذلك قالوا تصح الصلاة به مترجما .

أما قول الأستاذ : إن النظم المعجز هو روح القرآن ولا يقوم جسد بلا روح ، فهو عكس الواقع ، فان روح كل كلام هو معناه ، وأما نظمه فهو الجسد . فترجمة القرآن الكريم تنشر روحه بين العالمين، وهذا أمر لا يستهان به فى هدايتهم الى الحق اليقين

وهل بناء على قاعدة الأستاذ يجب علينا أن نمتنع عن ترجمة كتب العلوم إذا كنا لا نستطيع أن نأتى فى ترجمتها على عبارات تساوى براعة مؤلفيها فى البلاغة ، فلا نستفيد من معانيها لهذا السبب ؟ وهل فى هذا الموطن يمكن أن يقال إن بلاغة الكتاب هي روحه ولا فائدة فى جسد بلا روح ؟

هذا ما لا يقول به أحد فى الأرض.

ثامنا :

قال الأستاذ ما زبدته : « إن جمهور المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن . وهم حين أجمعوا على ذلك لم يقصدوا ترجمته لفظة بلفظة ، لأن ذلك محال، ولكنهم قصدوا ترجمة معناه . فاضافة المقترح كلمة (معني) ما هي إلا للتفادى من أن يقال هذا خروج عما أجمع على عدم جوازه المسلمون »

نقول :

ليس بصحيح ما يقوله الأستاذ من أن المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن ، وهو نفسه قد أورد مذهب الحنفية فى رسالته ورد عليهم ، ونقل ردودا عليهم عن علماء آخرين ، فهل يصح مع جواز الترجمة فى مذهب هو أكثر مذاهب المسلمين أتباعا أن يقال أجمع المسلمون على عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ؟

فاذا كان فى الأرض أربعمائة مليون مسلم فان منهم نحو مائتين وخمسين مليونا يتبعون مذهب أبى حنيفة ، والباقون يتبعون سائر المذاهب ، فأين الأجماع والأمر كما ترى ؟

وتقولون إن من المحال ترجمة القرآن لفظا بلفظ ، فكيف تقولون ذلك وقد شرطه الحنفية لصحة الصلاة بالترجمة ، وهم حين شرطوا ذلك عرفوا أنه ليس بمحال ، لأن الامام كان فارسيا وفى أتباعه فرس كثيرون كانوا يعرفون أن ذلك ممكن ولو فى الفاتحة وبعض الآيات الضرورية للصلاة . وكل عارف بلغة أجنبية يعرف أن الفاتحة وغيرها من بعض قصار السور يمكن ترجمتها كلمة إزاء كلمة .

وإذا كان الامام الأعظم وأصحابه يرون ذلك محالا فلم جوزوا الصلاة بالقرآن مترجما؟ أفعلوه تعجيزا للناس ، أم أكرهوا على القول به فعلقوه على محال ؟

ومن أين علم أن المقترح أضاف كلمة (معنى) الى الترجمة ليتفادى ما أجمع المسلمون على عدم جوازه ؟

المقترح فى حل من أن يترجم القرآن على الوجه الذى يمكنه من تصوير المراد منه ، لأن ذلك جائز فى أوسع مذهب من مذاهب المسلمين، واستحسنه علماء كبار من مذاهب أخرى كما رأيت ، فليس هو بحاجة لأن يأتي بألفاظ يستر بها مراده. وهل مراده إلا خدمة العالم بما فى كتاب الله من النور الساطع ، والاصلاح العميم ؟

تاسعا :

قال الأستاذ ما صفوته : « أخطأ بعض المفسرين فى تفسير بعض قصص الأنبياء فهل اللجنة تترجم هذا الخطأ أو تحذف تلك القصص ؟ فأولى من ترجمة القرآن أن تقوم مشيخة الأزهر ببحث هذه القصص ونفى مالا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فصاحب الدار أحق بخيرها من الغريب » .

نقول : إذا كان بعض المفسرين قد أخطأ فى تفسير بعض القصص فبعضهم أصاب لا محالة . فاننا لا نستطيع أن نتصور أن المسلمين فى مدى نحو أربعة عشر قرنا كانوا مجمعين من هذه القصص على خطأ مبين، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: لا تجتمع أمتى على ضلالة .

يريد الأستاذ أن تقوم مشيخة الأزهر ببحث هذه القصص ونفي ما لا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فلعله يريد أن تسلك فيها ما سلكه هو فى قصة يوسف وسليمان ، وهذا ما لا يرضاه مسلم له بصر فى شئون هذا العصر ، فان فى العالم الغربى رجالا يعرفون اللغة العربية مثل ما يعرفها الأعلام منا ، فاذا لم نسلك فى فهم كتابنا الأصول المقررة للفهم ، وملنا يمنة أو يسرة غلوا منا فى تنزيه بعض الشخصيات التاريخية ، اعتبرنا أولئك الرجال محرفين لكتابنا ، وهذه تهمة لم يوصم بها المسلمون إلى اليوم .

وكيف يسوغ لنا أن نفهم أن أعلام هذه الأمة الأولين يجمعون على خطأ فى فهم معانى الآيات الواردة فى تاريخ بعض الأنبياء والمرسلين ، وقد كانوا أعلم منا بأصول اللغة ، وأكثر منا حيطة لدينهم ، وكرامة كتابهم ؟

إن من أصول الاسلام الاعتراف بعصمة الأنبياء عن الكبائر ، أما الصغائر فجائزة عليهم ، ولا تكاد تقع منهم حتى يسرعوا إلى الاستغفار منها ، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول تشهد بما نقول .

أفيجمل منا لتنزيه يوسف من خاطر الشهوة البشرية الذى خطر له فعصمه الله من الجرى وراءه ، أن نعالج الآيات التى ذكرت قصته علاجا مستكرهة

فنسقطها من أوج البلاغة التى هى فيها ونحملها مالا تحتمله من الاحتمالات البعيدة ؟

انظر الي ماارتكبه الأستاذ فى قصة سليمان إذ صرف قوله : « حتى توارت بالحجاب » الى الخيل لا الى الشمس ، وصرف المسح بالسيف كراهية لها واحتقارا الى المسح باليد حبا وإعجابا .

فاذا كان يريد بما طلبه الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن يؤلف لجنة لاحداث مثل هذا التحريف ، فانى واثق بأن طلبه لن يجاب أبدا ، وواثق أيضا بأن العقل العصرى لايسيغ هذا الضرب من الغلو فى تنزيه الأنبياء فيستسهل صرف المعانى العالية للكتاب فى هذه السبيل المحفوفة بالأخطار .

عاشرا :

قال الأستاذ فى الوجه العاشر : « إن الله علم أية لفظة تصلح لأن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ، وأية لفظة تكون لها عدة معان تتفق وحالة الناس من العلوم فى جميع العصور ، بحيث يفهم كل جيل المعنى المناسب له ، وبحيث لاتكون المكتشفات الصحيحة معارضة لما يفهم من ألفاظ القرآن بل تتمشى معه . والبشر لايحيطون بشىء من ذلك علما إلا على قدر معارفهم الناقصة ، كما لايستطيمون ترجمة مااستبان لهم إلا بقدر مؤهلاتهم القاصرة . فاذا أقدموا على ترجمة مافهموه من المعانى فقد يظهر فى المستقبل خطؤه فيضاف هذا الخطأ الى القرآن » .

نقول :

إن الأستاذ القاضى يخلط بين الترجمة والشرح فى كل مايكتب ، وهذا خطأ كبير . فان ترجمة معانى الآيات لادخل لها فى شرح مدلولاتها التى قد تترقى بترقى العلوم . ونحن نوضح هذا الموضوع بمثل فنقول : قال الله تعالى : « فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » . فهذه الآية يترجم معناها على ماتعطيه ألفاظها من المعانى ، بصرف

النظر عن مدلولها العلمى ، فذلك يترك لعلم الناس فى عهدهم الحاضر وعهدهم المستقبل . وإلا فلو أردنا أن نتعرض لشرحها فان ذلك يستدعى منا سفرا ضخما ، فانها دلت على أن الله فى خلقه سننا مقررة لاتتخلف ، وهو من المعجزات الخطيرة التى قررها القرءان قبل أن يقولها أحد ، وابتنى عليها علم العمران ، وسيترقى العالم فى فهمها كلما ترقى العلم ، ولا تضرها ترجمتنا لمعناها بحال من الأحوال .

مثال آخر : قال الله تعالى : «إنا كل شىء خلقناه بقدر» فاننا نترجم هذه الآية على ماتعطيه معانى ألفاظها بدون تعرض لشرحها ، فان شرحها يستوعب أخص مافى علم الكون من نظريات ، ولا تقف ترجمتها دون التوسع فى فهم مدلولها على حسب ترقى العلوم .

هذه أمور بدهية لاتحتاج لأطالة ، إلا إذا أريد عرقلة مشروع الترجمة بالمحاولات الكلامية .

الحادى عشر :

قال الأستاذ فى الوجه الحادى عشر مامصاصته : « إن المطالبين بالترجمة لايريدون إلا الترجمة التى أجمع المسلمون على عـدم جوازها ، وإنما أضافوا كلمة معنى للتفادى من ذلك »

نقول :

هنا يذكر الأستاذ أيضا أن هنالك ترجمة أجمع المسلمون على عدم جوازها وهى ترجمة اللفظ بلفظ يقابله . ولاندرى كيف يسوغ له هذا القول وهو يعلم أن الحنفية يشترطون أن تكون الترجمة التى تصح بها الصلاة هى هذه الترجمة اللفظية لا الترجمة التفسيرية ؟ أما ترجمة المعانى التى يقصد منها تفهيم الأجانب معانى القرآن فلا يحرمها الأحناف ولا علماء كثيرون من مذاهب أخرى حتى الحنابلة كما ستراه .

ومن أين علم أن إضافة كلمة معنى الى الترجمة يقصد به التمويه دون الحقيقة ؟ إن مشيخة الأزهر أتت بهذه الكلمة لتتحلل من مصاعب الترجمة الحرفية

لتستطيع تصوير المعانى الحقيقية للآيات غير مقيدة بتقابل الألفاظ ، فربما كان هذا التقيد غير مؤد للمراد ، وهي إنما تريد تفهيم معانى الكتاب الكريم للأجانب عن اللغة لا إيتاءهم بترجمة يقيمون بها الصلاة على شرط الأحناف ، ولم تعلنهم بذلك ، ولو استفتيت فيه لمنعته بتاتا جريا على مذهب الامام .

فلم يسىء الأستاذ القاضى الظن بأئمة الدين المعاصرين الى هذا الحد ؟

الثانى عشر :

قال الأستاذ ما إجماله : « قال تعالى : « هـو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله » . فهل هؤلاء يريدون ترجمة المحكمات دون المتشابهات ، أم ترجمة كليهما معا ، أم ترجمة المحكمات ترجمة معنوية ، والمتشابهات ترجمة لفظية ؟ فان كان الأول فلا يسوغ لهم تسميته ترجمة معانى القرآن بل معانى بعض القرآن . وإن كان الثانى فانه يقتضى تأويل المتشابهات حتى يمكن ترجمتها . وإن كان الثالث فلا تكون الترجمة معنوية خالصة ولا لفظية خالصة ، بل تكون خليطا » .

نقول :

ليس مراد الله من وصفه بعض الآيات بأنها متشابهة أنها لا معنى لها فى ذاتها على الاطلاق ، ولكن لأن العقول تضل فى تأويلها ، وتقصر عن تصور حقائقها . ولنضرب لذلك مثلا بالآية التى نزلت المتشابهات بسببها . قال الله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم . الآية » روى أن النصارى لما قرءوا هذه الآية قالوا : أليس القرءان يقول إن عيسى (روح الله) ؟ يكفينا هذا اعترافا منه ببنوته ، ومضوا بشبهتهم هذه يشيعونها فى الناس على غير هدى ، فنزلت آية المتشابهات تنهى عن تأويل بعض الآيات وصرفها الى ما تشتهيه الوساوس الاعتقادية ، وما يعلم تأويلها إلا الله وحده .

فقوله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . الآية » له معنى ظاهر يستقل بالفهم ويمكن ترجمته الى كل لغة ، ولكن تأويله ليس من غرض اللجنة ، فهى لا تعرفه ولا يعرفه أحد فى الأرض فلا تبحث فيه ولا تترجمه .

مثال آخر : قال الله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « قل كل من عند الله » . هنا تنازع أهل السنة والمعتزلة ، فقال المعتزلة : الآية الأولى محكمة والأخرى متشابهة ، وقال أهل السنة : بل الأولى هى المتشابهة والثانية هى المحكمة .

فكلتا الآيتين كما لا يخفى لها معنى يستقل بالفهم ، يستطيع مترجمو القرآن أن يضعوه فى لغات أجنبية ، أما تأويل ذلك المعنى فلا يعنيهما فى شىء .

إذا تقرر هذا فلا محل لكل مارتبه الأستاذ القاضى على كل ما قدمه من المقدمات .

الثالث عشر :

فى هذا الوجه يتحدى الأستاذ المترجمين جميعا ليجربوا أنفسهم فى ترجمة معانى آيات اقتبسها من القرآن الكريم ، بحيث يكون للترجمة ما للأصل من روعة تأخذ بالنفوس ؛ وحكمة تستولى على الوجدان ، ومن أحكام تنطبق على قواعد الدين ولا تأباها العقول الأجنبية الخ الخ .

وهذه هى الآيات :

(١) « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ، أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً . أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » الآية .

(٢) « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » .

(٣) « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » الآية .

(٤) « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » الآية .

(٥) قصة يوسف عليه السلام من قوله تعالى : « ولقد همت به » الى قوله «واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين » ؛ مع بيان مافيها من قواعد عمرانية ونظامية وقضائية وأخلاقية ومع مراعاة عصمة الأنبياء .

نقول :

إن مشروع الترجمة يتصدى لبيان معانى القرآن الكريم ، ولم يدع قط أنه سيضيف الى المعنى الاتيان بنظم معجز فى اللغات التي ينقله اليها كالنظم الذى للقرآن المنزل . ولم يأخذ على نفسه أن يشرح ما فى الآيات من أحكام وشرائع ، ولا ما يستنبط منها من نظم وقوانين ، فمهمته محدودة ولا يسمح له بتمديها بوجه من الوجوه .

فلا محل والحالة هذه لتحدى الأستاذ المترجمين بما أتى به من الآيات .

الرابع عشر :

قال الأستاذ ما خلاصته فى الوجه الرابع عشر وهو الأخير : « كتب المجوزون للترجمة مقالات تأييداً لمذهبهم لم تسلم واحدة منها من خطأ ، وأسندت وقائع الى الرسول لم تثبت . وهذا بعض ما نخافه فى التراجم وبخاصة إذا كان المترجمون أقل عقلا وبحثا وتمسكا بالدين » .

نقول :

لعل الأستاذ قد بلغه أن ستؤلف لجنة من خيرة العلماء لتعيين معانى الآيات بكل دقة وتمحيص ، وتوكل تلك المعانى المحررة للمترجمين ليترجموها ، ثم يوكل إلى لجنة ثانية نقد الترجمة والتحقق من مطابقتها للنصوص المحررة ، فلا موجب للتخوف من الخلط والخبط بعد هذا على الترجمة . ولا أظن أن كتابا أحيطت ترجمته بمثل هذه الضمانات من قبل

الحجج التي يتذرع بها دعاة الترجمة والرد عليها

قال الأستاذ صاحب الرسالة: « تنحصر حجج مجوزى الترجمة فى ثنتين :

(الأولى) أن الترجمات الموجودة للقرآن غيرت معانيه ، فاذا تولت ترجمته مشيخة الأزهر جاءت تلك الترجمة صحيحة .

(الثانية) أنهم يريدون إفهام الأجانب حقيقة الدين الحنيف لعلهم يهتدون » ثم تولى الأستاذ دحض الحجتين فقال عن الأولى ما زبدته :

« لو كانت لنا قوة لمنعنا تلك التراجم بها . أما الكتب وحدها فلا تقهر كتبا ، فبلادنا مملوءة بالروايات الساقطة الداعية للاباحة والالحاد ، ويوجد بازائها كتب تدحضها وتدعو للآداب والصلاح ، فهل أخمدت الثانية أنفاس الأولى أو قللت منها ؟ إنه لابد لارشاد الناس من استصحاب القوة ، وما دام ليس لدينا قوة فلا ترتجى من ترجمة القرآن فائدة ، بل ربما كان ذلك سببا لأن ينشط المبشرون لوضع آلاف من التراجم الفاسدة ونشرها مكايدة لنا . وإن هؤلاء المبشرين يقرءون القرآن العربي المبين كما نقرؤه ويفهمونه كما نفهمه ، فهل منعهم فهمه من الدعوة الى دينهم ؟ وهل يتحاشون أن يقولوا إن ترجمة اللجنة مصححة للقرآن ، ولكن تراجمنا هى الحقيقية ؟ وما تأثير ترجمة واحدة والأسواق غاصة بالتراجم الخاطئة ؟ »

نقول لرد هذه الشبهات :

إننا نأسف من أن نرى رجلا فى مثل درجة الأستاذ من العلم يطوح به الهوى الى مثل هذه الآراء الفائلة ، والخيالات البعيدة . فمتى عهد الناس أن أمة تستخدم القوة لمحو تراجم خاطئة صدرت لكتابها فى أمة أخرى ؟

ومتى رأى الناس أن لا فائدة لعمل ترجمة صحيحة بازاء تراجم خاطئة فتركوا الخطأ على ما هو عليه ليعتبر سكوتهم عنه رضاء به ؟

وكيف يروج فى عقل إنسان أن ترجمتنا لمعانى القرآن تهيج المبشرين الى وضع (آلاف) من التراجم الضالة ؟

وعلى أية حال يعقل إنسان أنه ما دام المبشرون بين ظهرانينا يقرءون القرآن ويفهمونه ، ويستمرون فى دعايتهم ، فلا حاجة بنا لعرض ديننا على العالم ؟

وكيف يمكن أن يتصور إنسان أن ترجمتنا لاتنفع مادامت الأسواق غاصة بالتراجم الخاطئة ، ويكون الأولى بنا أن ندع لتلك التراجم الخاطئة المجال حرا ولا نقابلها بأية معارضة ؟

ألا إن مايقوله الأستاذ لايقره عقل ، ولا يسنده عرف ، وقد جرى العالم قديما وحديثا على خلافه ، حتى إن أقوى الأمم التى لاتبالى لوسخط عليها الناس أجمع لتبادر الى تكذيب فرية تافهة تروى عن سياستها أو أعمالها ، تصحيحا لرأى الناس فيها ، واستدامة لثقتهم بها .

أما نحن فان الأستاذ ينصحنا على ضعفنا أن ندع كتابنا غرضا لكل محرف متعمد وغير متعمد ، وعرضة لكل تشويه خفى أو ظاهر ، حتى نحصل على قوة فنمحو ما كتبوا بأطراف القنا المقومة ، وظبى السيوف المذربة .

بخ بخ ! ثم بخ بخ !

يقول الأستاذ إن الكتب لاتقهر كتبا ، ويضرب مثلا بكتب الأقاصيص والالحاد والكتب المؤلفة ضدها .

فهل يريد الأستاذ أن يقول : إنه مادامت ليست لدينا القوة الرادعة فيحسن بنا أن لانعارض الكتب الداعية للهوى والالحاد بكتب تدعو للهدى والرشاد ؟ إن كان يقصد ذلك فهو مناقض لقوله تعالي: « فذكر إن نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى » ، وقوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر » ، وقوله تعالى : « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ، وقوله تعالى : « كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره » وقوله تعالى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد »

الحجة الثانية ورد الأستاذ عليها :

قال الاستاذ : « الحجة الثانية لدعاة الترجمة هى أنهم يريدون إفهام الأجانب حقيقة الاسلام لعلهم يهتدون . فهل عرفنا نحن حقيقته فاهتدينا بهديه ولم يبق إلا أن نهدى غيرنا اليه ؟ أليست عامة المسلمين أولى بأفهامهم حقيقة الدين من الأجنبى ؟ ثم قال :

« على أن تفهيم الأجانب حقيقة ديننا لايستلزمان ترجمة معانى القرآن ، ولـكن هدايتهم تكون بأمرين : الأول بوضع كتاب يبين فيه مايدعو اليه والأصول العامة للفقه والمعاملة والأخلاق الخ الخ . والثانى بظهورنا أمامهم بلباس الدين متمسكين بما يدعو اليه . فاذا وصلنا الى هذه الدرجة سموا الينا وتعلموا لغتنا ، كما كان يحصل أيام الفتوحات الاسلامية ، وكما يحصل منا إذا أردنا تعلم علم اختصوا هم به ، فاننا نسعى الى معرفة لغة أهل هذا العلم » .

نقول :

إن هذا الـكلام من الأستاذ يفهم منه أن الاسلام أنزل خاصا بنا ، فمتى استوفينا حاجتنا منه وتحلينا بجميع فضائله ، حسن بنا إذ ذاك أن نفكر فى الأجانب عنا . وفاته أن هذا الدين أنزل للبشر كافة ، وأن على السابقين اليه إذاعته بينهم عامة ، فليست حاجتنا نحن بأولى بالتقديم من حاجة غيرنا اليه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب مبلغ أوعي من سامع ، كما ورد فى الحديث .

فنحن فى الدعوة الى الاسلام لانأتى بنافلة ، لنا الخيار فى تعجيلها أوتأجيلها ، ولـكن بواجب من الواجبات المفروضة علينا سواء أعملنا بالدين أم لم نعمل ، قال تعالى : « إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الـكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

فليس أمام الاسلام عربى ولا أجنبي . فان قلت : اذا كان الأمر كما تقول فلم لم ينزله الله بكل لغة فى الأرض ؟

نقول : اذا استساغ المعترض هذا الاعتراض فلم لايستسيغ أن يقول : اذا كان الله يطالب كل فرد بالاسلام فلم لم يوح ذلك الى كل مكلف على حدته ؟

إن كلا الاعتراضين فى نظرنا متساويان ، وهما معا باطلان ، فكما اقتضت حكمته تعالى أن يرسل رسولا واحدا الى الملايين من عباده يصطفيه منهم ، كذلك اقتضت حكمته أن يرسل أمة واحدة لتبليغ الأمم كافة يصطفيها منها . وكما أوجب على الرسول أن يبذل وسعه فى إبلاغ ماائتمن عليه من الرسالة بكل وسيلة ، وأن

يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويتنزل الى درجة فهومهم ، ويقارعهم بما يحذقونه من أساليبهم ، كذلك أوجب على الأمة التى تختار لنشر دعوته أن لاتدخر وسيلة فى إبلاغها للأمم ، فتختار من الذرائع ماتلهمها الأحوال بأنه أولى بالتعويل عليه من غيره .

وقد فهم المسلمون هذا الأمر منذ وجودهم ، فعملوا عليه جهد طاقتهم ، ولم تفتهم مسألة ترجمة القرآن لهذا الغرض نفسه . وهو مارواه ابن حجر عن ابن بطال فى فتح البارى من أن على العرب أن يترجموا القرآن للأمم التى لاتفهم العربية تحقيقا لمبدأ تعميم الدعوة به ، كما أثبتناه بلفظه فى فصل متقدم .

فلا معنى والحال هى هذه لقول الاستاذ صاحب الرسالة التى ننقدها إن الأولى بنا أن نهدى أنفسنا أولا ثم ننظر فى أمر غيرنا ، فان ماأوجبه الدين كل لايتجزأ ، ونحن مطالبون به كاملا ، ومحاسبون على التقصير فيه أصلا أصلا .

أتستبعد أن تكون ترجمتنا للقرآن سببا فى هداية أمة اليه يعز الله بها الاسلام فى هذا العهد الذى ضعف أهله عن الاضطلاع بأعبائه ، وقصروا عن القيام بمهامه ؟

أما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين ، فهل يحرم علينا أن نقول : اللهم أعز الاسلام بأمة من الأمم ؟

وبعد

عقد الأستاذ القاضى فصلا فى رسالته تحت هذا العنوان قال فيه ماخلاصته :
« كانت الفتوحات فى أيام الفاروق واسعة ، وكان الصحابة أحرص منا على نشر الدين ، ومع هذا فلم يفكروا فى ترجمة القرآن الكريم .

« وقد زادت الفتوحات اتساعا فى عصر هرون الرشيد والمأمون ، ودخلت فى الاسلام طوائف كثيرة لسانها غير عربى ، وكثر المترجمون الى اللغات ، ومع هذا فلم يجد أحد حاجة الى ترجمة معانى القرآن الكريم .

« لم يمسوا لغة القرآن لعلمهم أن فى بقاء لغته على ماهي عليه دوام حياة

الأمة العربية ونماءها وبقاء دينها بل وبقاء القرآن . وهذه قاعدة أجمع عليها علماء الاجتماع من شرقيين وغربيين . فان كل أمة تسعى فى نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها لعلمها أن رواج تجارتها ومد نفوذها وسلطانها يتبع نشر لغتها .

« وكما تدعو السياسة الى المحافظة على اللغة يدعو الى ذلك الدين نفسه ، لأن القرآن لا يمكن فهمه حق الفهم ولا معرفة قدره حق المعرفة الا باللغة العربية .

« وما روى عن الامام أبى حنيفة من أنه أجاز القراءة بالفارسية ثبت رجوعه عنه (الاستاذ يقول ثبت) . فالاقدام على ترجمة القرآن بدعة فى الدين سيئة ، وقد يؤدى ذلك الى انصراف بعض متعلمى اللغات منا عن القرآن وتفاسيره الى تراجمه ، ويتبع ذلك انحطاط اللغة العربية » انتهى .

ونحن لرد هذه الشبهات نقول :

لم لم يترجم الصحابة القرآن ؟

لم يفكر الصحابة فى ترجمة القرآن استكمالا لوسائل الدعوة لسببين :

(أولهما) تعذر ذلك عليهم لعدم وجود من يستطيع ذلك منهم ، ناهيك أنهم لم يجدوا من يتولى أمور الدواوين منهم باللغة العربية فأبقوها بلغات أهلها حتى وجد منهم على عهد عبد الملك ، أى فى أواخر القرن الاول للاسلام ، من يستطيع الاضطلاع بها ، فقلب لغتها الى العربية ، وكان هذا الأمر لا يستدعى أكثر من القراءة والكتابة . أما الترجمة فتستدعى حذق بعض اللغات الأجنبية ، وكيف السبيل الى ذلك وهو يقتضى ثقافة خاصة لم تكن وجدت الى ذلك العهد ، ولا الى ما بعده بنحو مائتين وخمسين سنة ؟ فكيف يعقل أن يفكر الصحابة فى ترجمة القرآن الى اللغات الأجنبية ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ؟

هذا هو المانع الأول . وأما المانع الثانى فهو أن الترجمة كانت لا تجدى أولئك الأقوام المعاصرين للصحابة ، لأنهم كانوا تحت سلطان ساداتهم فى إيمانهم وكفرهم . وقد قام الصحابة باقناع أولئك السادة بفساد أديانهم

وصلاحية الاسلام ، فدخلوا فيه وتبعهم مقلدوهم مسرعين ، وبقوا مسلمين إلى هذا اليوم ، ولا يعرف القرآن منهم إلا نفر يعدون على الأصابع ، وأما من عداهم فيعرف بعضهم قراءة الفاتحة بلهجة لا تفهم ، وبقى سوادهم لا يعرفون ولا فاتحة الكتاب ، ولا يصلون ولا يصومون .

ومن شاء أن يتحقق من هذا كله فليسأل الطلبة الأجانب الذين فى الأزهر فيسمع ما يسوءه من هذه الناحية .

وهاتان الهند والصين اللتان أسلم ملايين من أهلهما منذ القرن الأول ، لا يزالون إلى اليوم ، وقد بلغوا الآن هم والأندونوسيون وغيرهم أكثر من ثلاثمائة مليون نسمة ، على ما كان عليه آباؤهم الأولون من الجهل بالعربية جهلا تاما ،وقد حذق كثير منهم الانجليزية بحافز من الحاجات الميشية ، ولم يحدثوا أنفسهم بتعلم العربية ، فاضطروا إلى ترجمة القرآن ، فترجمه رجال منهم إلى الصينية والهندية والانجليزية والأندونوسية ، وقد طلب الأندونوسيون أخيراً إلى علماء الهند السنيين أن يترجموه لهم إلى الانجليزية ، فشرعوا فى ذلك وأتموا منه ثمانية عشر جزءاً كما ورد فى جريدة البلاغ وأثبتناه فى فصل متقدم

فلو كان كتب لهذه المئات من الملايين أن تتعلم العربية ، لتعلمتها والدولة العربية فى أبهة سلطانها ، واللغة فى نضارة شبابها . أما اليوم وقد سممت الشبهات العلمية العقول ، وأصبحت الزعامة العالمية فى أيدى الشعوب الأوربية ، فان مجرد التأميل فى تعلم المسلمين الأجانب للغة العربية يعتبر من قبيل الاشتغال بالخيالات البعيدة .

من أراد أن يعرف مكان هذا الأمل من التعذر فليعتبر بالأمة التركية ، فقد حملت أعباء الخلافة نحو أربعة قرون ، وأدمجت فى لغتها أرق الألفاظ العربية ، حتى إنها فيها لتبلغ الربع من جملتها ، وعرف الأتراك بشدة التمسك بالدين ، ومع ذلك بقيت الأمة التركية تجهل العربية إلى اليوم . ولا يكاد يفهمها منهم إلا مئات من رجال الدين على قصور تام فيها .

فما ظنك بها وقد جردت لغتها من جميع الألفاظ العربية اليوم ؟

لم لم يترجم العباسيون القرآن
وقد كانت دولة الترجمة قائمة فى زمانهم ؟

هذه تعتبر شبهة عند الذين يأخذون الأقوال بظواهرها ، ولكنها عند أهل العلم من الوهن بحيث لا تحتمل النقد .

نعم قد كان للترجمة دولة قائمة على عهد المنصور وأبنائه ، وبخاصة حفيديه هرون والمأمون ، ولكن القائمين بأعبائها كانوا كلهم من النصاري واليهود والصابئة ، استخدمهم الخلفاء لنقل العلوم الطبيعية والرياضية والطبية وغيرها من اليونانية والسريانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية ، أشهرهم حنين ابن أسحق ، وابن البطريق ، وقسطا بن لوقا ، وثيادورس ، وأبو روح الصابى ، وأبو بشر متى ، وحبيش ؛ واصطفان بن الصلت ، ولم يكن بينهم مسلم واحد قط ، فهل كان يريد الأستاذ مؤلف الرسالة أن يسند إلى واحد من هؤلاء ترجمة القرآن إلى بعض اللغات الأجنبية !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، كانت الشعوب الأوربية فى إبان المدنية العباسية فى العهد الذى يسمونه بعهد القرون الوسطى ، وهو المحصور بين القرن الرابع والقرن الخامس عشر ، وكانت أوربا فيه ، وهو يزيد عن ألف سنة ، فى ظلام حالك من الجهل ، وتحت السلطان المباشر لرجال الكنيسة ، فكانوا لا يسمحون بتسرب كتاب فيه بصيص من العلم إلى أيدى الناس خشية أن تنتج من ورائه بدعة دينية ، بله كتابا دينياً يدعوهم لتغيير ملتهم . وقد بالغوا فى هذا الاحتياط حتى أقاموا محاكم خاصة لصيانة العقائد سموها محاكم التفتيش ، فكانوا إذا سمعوا عن رجل أنه يشتغل بالفلسفة أو بالعلم الكونى ، اقتحموا عليه داره وفتشوها تفتيشاً دقيقاً ، فاذا عثروا فيها على كتاب غير الكتب التى وضعوها

حاكموه وحكموا عليه بأقسى العقوبات ، حتى إنه لما تسربت بعض علوم عرب الأندلس الى ما جاورها من الممالك الأوربية وأخذ بعض النـاس يتدارسونها ، حكم على أكثرهم بالحرق فى النـار ، وقد بلغ عدد هؤلاء الضحايا نحو ثلاثمائة ألف وستين ألفاً ، ألقوا جميعاً فى النيران المستعرة ، ومنهم رجال عباقرة كبـار من أمثال غاليليه وبرونو وغيرهما .

ولما نشأت الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى ، وألقت ببصرها الى الشاطىء الأوربى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، أصدر البابا القائم منشوراً قال فيه : أن المسلمين رجس فلا يجوز أن تطأ قدم واحد منهم أرض أوربا .

كان هـذا فى القرن الثالث عشر ، فما ظنك بالعصبية الدينية فى أوربا أيام قيام الدولة العباسية فى القرنين الثامن والتاسع للميلاد ؟ هل كان من الحكمة أن يترجم القرآن ويرسل إلى البلاد الأوربية ليصادر يوم وصوله ويباد من عملوا على استيراده ؟

هذا إذا كان فى المسلمين من يستطيع ترجمة القرآن إلى تلك اللغات إذ ذاك وتعلمها كان من أصعب المحاولات .

أين هذا مما هو عليه الحال اليوم من حذق مئات الألوف من المسلمين لتلك اللغات ، واستعداد الأوربيين ، بما حصلوه من الحرية وحب الحق ، لقراءة كل ما يقدم اليهم ، بل هم قد أصبحوا يطلبون الينا أن نمدهم بما لدينا ليبحثوه ويبدوا رأيهم فيه ، ويستقدمون اليهم رجالا منا ليباحثوهم الآراء فيما هم بصدده من وسائل نزع السخائم من القلوب ، وشد روابط الألفة بين مختلف الشعوب ؟ أما بلغكم أن مؤتمر الأديان بلوندره طلب إلى حضرة صـاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن يمثل فيه ويلقى خطبة فى أحسن الوسـائل فى نظره لتحقيق مبدأ الزمالة العالمية بين البشر كافة ؟ أفلا يحسن بنا أن نهدي القرآن المترجم لأمثال هؤلاء ليتدبروه ويتأملوه ، ويتحققوا أن فيه شفاء لما فى الصدور ، وخلاصاً للانسانية من الشرور ؟

حقاً إن الذين يريدون حجب هذا النور اليوم لآثمون !

هل ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية

تعطل انتشار اللغة العربية ؟

قال الأستاذ صاحب الرسالة ما معناه : « لم يمس المسلمون الأولون لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن فى بقاء لغته على ما هى عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء دينها بل وبقاء القرآن . وكل أمة تسعى أشد السعى فى نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها لعلمها أن رواج تجارتها ومد نفوذها وسلطانها يتبع نشر لغتها الخ الخ »

نقول :

إننا لم نقرأ فى كل ما قرأناه من الشبهات شبهة أوهى بنيانا ؛ وأوهن أركانا ، وأبعد عن العرف وعن الواقع من هذه الشبهة .

فلو كانت صحيحة لكانت الأمم التى يضرب الأستاذ لنا بها الأمثال أحجمت عن ترجمة كتبها المقدسة إلى لغات الأمم الأجنبية عنها ، محافظة على لغاتها القومية ، ولما سمح كبار مؤلفيها بترجمة مؤلفاتهم إلى غير لغاتهم الوطنية . والذي نراه بأعيننا أن الأمم قاطبة تسعى إلى نشر مذخور آدابها ؛ وثمرات تفكيرها إلى اللغات الأخرى ، وتعد ذلك من مفاخرها ، ولم يؤثر ذلك علي لغاتها الأصلية ، بل زادتها نماء وارتقاء .

يقول الأستاذ : إن الأمم تسعي فى نشر لغاتها وإضعاف لغات غيرها .

نقول : نعم ، ولكن ذلك فى البلاد التى تطمع فى احتلالها واستعمارها ، ولكنها بالنسبة للبلاد التى تطمح إلى مزاملتها ومبادلتها ، نراها تعمم تعليم لغاتها فى مدارسها مع لغاتها الوطنية . فترى الفرنسيين يدرسون فى مدارسهم الى جانب لغتهم اللغة الانجليزية والألمانية والايطالية ، والانجليز يلقنون أطفالهم الفرنسية والألمانية ، والألمان يعلمون الفرنسية والانجليزية ، واليابانيين يبثون فى نابتتهم الانجليزية وغيرها الخ .

وتكاد لا ترى أوربيا أو يابانيا لا يعرف إلى جانب لغته الوطنية ، لغة أو لغتين أجنبيتين ، فكيف يصح قول الأستاذ إن كل أمة تسعى فى نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها ؟

فهل نطمح نحن إلى احتلال أوربا واستعمارها فنسعى فى نشر لغتنا فيها وإضعاف لغاتها ولغات المنافسين لنا فى تدويخها؟

ليس هذا الطموح بمحال ، ولكننا لسنا بسبيله اليوم ، وإنما نحن بسبيل إفهام الأجانب حقيقة ديننا بلغاتهم ، كما يفهموننا حقيقة دينهم بلغاتنا ، فهل فى هذا ما يقدح فى تعصبنا للغتنا ، وحرصنا على كرامتها ؟

ليس غرض الأستاذ بهذا القول الدفاع عن اللغة العربية ، ولكنه يريد به أن يعطل ترجمة معانى القرآن فحسب ، ولو بأثارة مثل هذه الشبهات الواهنة ، لأننا لا نعقل أن هذه البداهات تغيب عنه .

نعم لأنه لو كان يريد الدفاع عن اللغة العربية ،ويعتقد أن مايقوله صحيح لكان ثار على كل كتاب نضعه لأوربا بغير اللغة العربية . ولكنى رأيته فى رسالته نفسها يقول تحت عنوان كيفية تفهيم الأجانب حقيقة ديننا : « أن يوضع لهم كتاب بواسطة لجنة من علماء الأزهر الشريف وعلماء القانون وعلماء التربية والاجتماع يبين فيه ما يدعو اليه الدين الحنيف الخ ، وهو واجب أو فرض كفاية على الأمة الاسلامية » .

فهل يضر اللغة العربية أن يترجم القرآن الكريم الى اللغات الأوربية ، ولا يضرها أن يوضع كتاب بتلك اللغات ، وما الفرق بين العملين بالنسبة لمصلحة اللغة العربية ؟

يقول الأستاذ : « لم يمس المسلمون الأولون لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن فى بقاء لغته على ماهى عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء ذكرها ودينها ، بل وبقاء القرآن » .

نقول : أما عدم مساس المسلمين للغة القرآن بالترجمة فقد بينا أسباب ذلك

فى الفصل المتقدم ، ولم يكن له من علة غير ما ذكرنا . وليس بصحيح أن المسلمين لم يمسوا لغة القرآن على الاطلاق بالترجمة .

فقد جاء فى النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسي أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب ، فكانوا يقرءون ما كتب فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم ، وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه .

هذا كان على عهد النبوة ، أما فى مدى القرن الأول على عهد التابعين فكانت ترجمة القرآن والصلاة بها لا تعتبر شيئا فريا . فقد قال الأستاذ المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية فى فتوى لأهل الترانسفال ما نصه حرفيا :

« وتجوز القراءة والكتابة (أى للقرآن) بغير العربية للعاجز عنها بشرط ألا يختل اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية » انتهى .

إن أمرا يفعله الحسن البصرى الذى يعتبر إماما لجميع أئمة هذه الملة ، لا يصح وصفه بأنه خروج على المبادئ الاسلامية .

هذا كان فى القرن الاسلامي الأول الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : إنه خير القرون . أما فى القرن الثانى فقد أصبحت هذه الرخصة الاسلامية مذهبا دينيا لصميم أهل السنة والجماعة فى مذهب أبي حنيفة كما رأيت .

أما فى القرن الثالث الذي انتشر فيه مذهبا الشافعى وابن حنبل ، فقد استحسن بعض علمائها ترجمة القرآن ، ولكنهم لم يجوزوا الصلاة بالترجمة . وقد أثبتنا ذلك من كلامهم بما لا يدع حاجة للمزيد .

هذه خلاصة مذاهب الأئمة وأفعالهم فى الثلاثة القرون الأولى للاسلام ، فهل يصح أن يقال بعد هذا : « إن المسلمين الأولين لم يمسوا لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن فى بقاء لغته على ما هى عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء ذكرها ودينها ، وبقاء القرآن » ؟

فأية علاقة يمكن أن توجد بين بقاء القرءان غير مترجم ، وبين دوام حياة الأمة العربية ونمائها الخ ؟ .

هل دوام حياة الأمة العربيـة ونماؤها وبقاء دينها يتوقف على أن القرءان تبقى ترجماته محرفة فى أوربا ، ونحن صامتون جامدون كأن تحريفه لا يعنينا ؟

وهل دوام حياة هذه الأمة ونماؤها الخ الخ يتوقف على أن يجهل العالم كله كتابهـا فيخلطوا فى عزو المضحكات والخزعبلات اليه ؟ قرأت فى مجـلد سنة ١٩١٦ من مجلة الحياة والعلم الفرنسية La vie et la Science بحثا لأحد علمـاء الحيوانات فى الجراد صدره بقوله : « جاء فى القرءان أن الجرادة الواحدة تضع تسعا وتسعين بيضة ، وإن وضعت ما يتمم المائة لم يبق فى الأرض متسع لغيرها » .

وقال غيره : « القرءان يقول بأن المرأة لاروح لها ولا ترث الآخرة ، وأنه يدعو الى الشهوات ، والى إبادة الـكفار والى عبادة محمد الخ » .

فهل بقاء هذه الأضاليل كلهايتوقف عليه بقاء الأمـة العربيـة ونماؤها وكرامة دينها ، وشرف قرءانها ؟

أنا لا أقول إن هذه الأضاليل موجودة فى التراجم المطبوعة ، ولـكنى أقول إن هذه التراجم محرفة ، ولا يجوز بقاؤهـا على حالها ، وإلا كنا راضين عنها ومحاسبين عليها .

ويعد الأستاذ من آثار إهمال الترجمة بقاء القرءان .

وهذا أغرب من كل ما سبقه من الشبهات ، فهل يرى أن الترجمة يمـكن أن تحل محل القرءان فيستغنى عنه ولا يكون له معها بقاء ؟

لايعقل هـذا إلا إذا نسخ اللســان العربى ، وهجره أهله ، وآثروا عليه لسانا آخر من الألسن الأجنبيـة ، فهل يرمي الأستــاذ الى هذا المعنى ؟ وهل فى الأرض محال أكثر عراقة في البطلان منه ؟

إن شبهة الأستاذ التى مؤداها أن ترجـة القرءان قد تفضى الى أن الذين

يتعلمون اللغات منا يعولون على الترجمة ويهملون الأصل ، شبهة لا تحتمل النقد ، فانه يرى أنه مع انتشار اللغات الأجنبية فى البلاد العربية والمستعربة قد قويت بجانبها اللغة العربية قوة لا يوجد نظير لها فى هذه البلاد فى الألف السنة الماضية ، فيكاد يكون اليوم كل متعلم فيها كاتبا وخطيبا ، على حين أن الناس كانوا فى الجيل الماضى ، حيث لم تكن اللغات الأجنبية منتشرة ، لا يكادون يقرءون الكتب الأولية قراءة صحيحة .

ولعل الأستاذ يرى أن الأمم الاسلامية التى لسانها غير عربى قد يحملها طلب فهم القرءان على أن تتعلم العربية فيكثر سواد المتكلمين بها والمعولين عليها ، فلو قمنا بترجمة القرءان لها صددناها عن تعلم العربية .

وهذا أيضا من الأوهام ، فان هذه الشعوب لم تحاول قط أن تتعلم العربية أيام كانت الدولة العالمية للمسلمين ، والسلطان المطلق فى أيديهم ، أفتعمل على تعلمها اليوم وهى أشغل ما تكون بأمور معاشها ، ومقاومة المتوغلين فى أحشائها ، وقد رأيت أنها هى نفسها تطلب ترجمته الى لغة تستطيع أن تفهمه بها ؟

وهل مما يسوغ ديننا أن نهمل ترجمة القرءان ترجمة صحيحة ، ونتركه محرفا مشوها باللغات الأجنبية ، جريا وراء أوهام كهذه لم تتحقق فى أمة من الأمم فى العهود الماضية ، ولن تتحقق فى الأزمنة المستقبلة ، فضلا عن أنها ليست من الممكنات عقلا ؟

رد الأستاذ فى رسالته

على ما كتبته بالأهرام

ذهب الأستاذ فى رده على بأنى (١) رميت الغيورين على الدين بالغفلة عن مذهبهم (٢) وأنى نسبت لامام المحدثين الحسن البصرى ما لا يعقل (٣) ونسبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت (٤) وغلطت فى آراء الحنفية .

رمانى الأستاذ بكل هذه التهم ، وإنى لمناقشه فيها جميعا فأقول :

التهمة الأولى : أما رمى الأحناف المعاصرين الذين يقولون بعدم جواز ترجمة القرءان بالغفلة عن مذهبهم فصحيح ، لأنه قد طبعت عشرات من كتب الأحناف فى مصر وكلها تنص على جواز ترجمة القرءان والصلاة به لمن لايعرف العربية . وهى منتشرة بين الناس ، ويستطيع أن يتحقق من هذا الأمر كل من يعنى به منهم .

ألست معذورا بعد هذا كله أن أتهم كل حنفى ينكر هذا بأنه غافل عن أحكام مذهبه ؟

التهمة الثانية : وأما نسبتى لامام المحدثين الحسن البصرى مالا يعقل فليست بصحيحة ، فقد نقلتها عن الأستاذ المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، فقد كتب فى فتوى أرسل بها الى مسلمى الترانسفال فى سنة ١٩٠٣ ونشرتها مجلة المنار له فى ذلك الحين مانصه بالحرف الواحد : « وتجوز القراءة والكتابة (أى للقرآن) للعاجز عنها بشرط ألا يختل اللفظ ولا المعنى فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية » . انتهى

وما كنت لأتهم مثل الأستاذ المرحوم فى حادثة تاريخية تتعلق بأدق مسألة دينية ، وهى جواز تلاوة القرآن فى الصلاة مترجما الى لغة أجنبية . فاذا كان الأستاذ صاحب الرسالة يوجه الى لوما فليشركه معي فيه .

وقد نقل الأستاذ صاحب الرسالة عن صاحب مسلم الثبوت أنه قال : «سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء صاحب تاج المحدثين إمام المجتهدين الحسن البصرى كان يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية » ثم عقب ذلك بقوله ملخصا : « إن عمل التابعى ليس حجة فى مسائل الدين . ثم إن هذه الرواية غير معقولة لأنه كيف يكون إمام المجتهدين وصاحبه ممن لا يحسنون العربية وقد أجمع الأصوليون على أنه يشترط أن يكون المجتهد عالما بالعربية ، لاسيما وقد شهد شيوخ البيان للحسن بالفصاحة » ؟

نقول :

يقول صاحب كتاب مسلم الثبوت فى علم الأصول : « سمعت من بعض الثقات » ويورد الخبر ولا يعقب عليه بنقد ولا تجريح ، بله التهويل والتبديع ، فينبرى الأستاذ لنقده وتجريحه لاباعتبار أن روايته مدخولة ، ولكن باعتبار أن الصلاة بالترجمة كبيرة ، فانظر كيف تبدلت سماحة الاسلام فى نظر المتأخرين حتى صاروا لايقبلون ما كان يقبله أئمتهم ! وأنت خبير أن هذا لايرجع الى أنهم أغير منهم على الدين ، ولكن يرجع الى أنهم يحاولون أن يؤثروا على سمعة ناس من هذه الناحية !

يقول الأستاذ . إن هذه الرواية غير معقولة ، لماذا ؟ يجيب : لأنه يشترط فى المجتهد أن يكون عارفا باللغة العربية والحسن البصرى كان إماما مجتهدا بل إمام الأئمة .

فهل يمنع أيها الأستاذ أن يكون الانسان إماما فى اللغة العربية ولا يجيد النطق بها كما هو حال كبار المستشرقين ومجتهدى الفرس وعلماء الترك والافغانيين وغيرهم ؟ فاذا كان الحسن البصرى وصاحبه تاج العرفاء على إمامتهما فى الدين لايحسنان النطق بالحاء ولا بالعين وكانا يقرءان (الرهمن) بدل الرحمن ، و(الرهيم) بدل الرحيم ، و (الهمد) بدل الحمد فى فاتحة الكتاب ، و (الآلمين) بدل العالمين ، و (إياك نأبد) بدل إياك نعبد ، و (إياك نستئين) بدل وإياك نستعين ، و (الستكم) بدل المستقيم ، و (أنأمت عليهم) بدل أنعمت عليهم ، و (المغدوب أو المغظوب عليهم) بدل المغضوب عليهم ، و (الدالين أو الظالين) بدل الضالين ، قلنا إذا كانت قراءتهما على هذا النحو وكرها أن تكون صلاتهما مشوبة بهذا التحريف ، فهل عليهما من بأس إن عملا فيها بالرخصة الاسلامية ؟

يقول الأستاذ . إن عمل التابعى ليس بحجة فى مسائل الدين .

نقول : هذا صحيح ، ولكن إن خالف الكتاب والسنة والاجماع والقياس

الصحيح . ولكن إن كان لايخالفها ، بل وجد فى السنة ما يؤيده وسوغه القياس الصحيح أيضا ، أمكن الأخذ به .

التهمة الثالثة :

وأما نسبتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت فليست بصحيحة أيضا ، فقد ذكر الأستاذ أنى أتيت على خبر ترجمة سلمان للفاتحه وقلت إن النبى صلى الله عليه وسلم أقرها ، ولكنه هو لم يعثر على تلك الرواية إلا فى المبسوط وليس فيه أنه أقرها .

نقول :

إنى نقلت روايتى عن كتاب (النهاية والدراية) فليرجع الأستاذ اليه .وقد سبق للأستاذ المرحوم الشيخ محمد بخيت أن نقله عن هذا الكتاب فى فتواه لأهل الترانسفال قبل أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ، فقال كما هو مذكور فى مجلد سنة ١٩٠٣ من مجلة المنار:

« وفى النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسى أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكتب فكانوا يقرءون ما كتب فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم. وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه » انتهى

فعدم إنكاره عليه إقرار له كما لا يخفى ، وهل يصح للأستاذ أن ينسب الى مالم أفعله بحجة أنه لم يجده فى الكتاب الذى عنده ، ألا كان يحسن به أولا أن يسألنى من أين أخذته ؟

وقال الأستاذ: «لو كان إقرار النبي صلى الله عليه وسلم الذى ذكرته ثابتا لاستدل به أبوحنيفة على مذهبه، ولخضع لهسائر الائمة ، ولاشتهر أمره بين المسلمين، ولعمل به الصحابة الخ » .

نقول :

قد ثبت هذا الخبر عند أبى حنيفة واستدل به وبنى مذهبه عليه ، جاء

فى المبسوط صفحة ٣٧ ج ١ قوله : «استدل أبو حنيفة بما روى أن الفرس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرءون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم ».

أما قوله : « لو كان ذلك ثابتا لخضع له سائر الأئمة » فهو غريب جدا من الأستاذ ، لأن ما يثبت من أحاديث النبى وأعماله عند إمام ويأخذ به، قد لا يثبت عند إمام آخر فلا يأخذ به ، ولهذا السبب اختلفت المذاهب ، وهل لاختلافهام من سبب أكبر من هذا ؟

ومن العجب العاجب أن الأستاذ بعد أن قال : «لو ثبتت هذه الرواية لاستدل بها أبو حنيفة» عاد فى الصفحة التى تليها فقال: « إن الامام أبا حنيفة بعد أن استدل بهذا الخبر رجع عن هذا القول » !

نقول :

قد أثبت الأستاذ هنا بنفسه أن أبا حنيفة استدل بهذا الخبر بعد أن نفى استدلاله به فى الصفحة التى قبلها ، وزاد عليه قوله إنه رجع عنه . فأما رجوعه عنه فلا يمكن الاستدلال عليه من أى كتاب من كتب الحنفية ، وأنا أتحداه فى ذلك . وكل ماروى هو أنه كان يقول بجواز الصلاة بالترجمة لمن يحسن العربية ومن لا يحسنها على حد سوى ، ثم رجع عن هذا الاطلاق إلى رأي صاحبيه وهو جواز ذلك لمن لا يحسن العربية فقط .

فالمأخوذ من الهداية وشرح المجمع والدر المختار وغيرها أن أبا حنيفة كان يقول أولا بجواز قراءة القرآن فى الصلاه بغير العربية مطلقا عاجزا كان القارئ أو قادرا .وخالفه صاحباه فقالا بجواز ذلك للعاجز ، وأن أبا حنيفة رجع عن قوله إلى قولهما . قال فى الدر : « أو قرأ بها عاجزا فجائز إجماعا . قيد القراءة بالعجز لأن الأصح رجوعه إلى قولهما وعليه الفتوى » انتهى .

توهين الأستاذ مؤلف الرسالة لهذه الرواية :

قال الأستاذ ما معناه : « لم تبين لنا هذه القصة من هؤلاء الذين أرسلوا

الى سلمان ، أهم الفرس الذين كانوا فى بلادهم ، أم الذين أقاموا باليمن ، وفى أى زمن كان ذلك ، ومن الذى أرسلوه أعربى أم فارسى ، وهل كان سلمان إذ ذاك بالمدينة أم بالعراق . فأما الفرس الذين كانوا باليمن فكانوا مختلطين بالعرب ، وكان هنالك مسلمون يستطيع أولئك الفرس أن يتعلموا الفاتحة منهم . وعبارة (حتى لانت ألسنتهم تشعر بأنه كان عندهم من يعرف العربية بل من يعلمهم الفاتحة بالعربية).

« وإن كان هؤلاء ببلاد الفرس فلا يعقل أن جماعة من رعايا ملك يمزق كتاب النبى صلى الله عليه وسلم يجرءون على الصلاة ، وعلى إرسال رسول لسلمان . ثم إن التاريخ لم يذكر أن أحدا من الفرس المقيمين ببلادهم أسلم فى زمن هذا الملك ولا فى زمن من بعده . وعلى فرض أن هذا الخبر صحيح فان عمل الصحابى ليس بحجة . ثم إن هذا الدليل عليك لا لك ، فهل تريد من الترجمة أن الأجانب يقرءون بها حتى تلين ألسنتهم بالعربية ؟ إن كنت تضمن لى هذا فأنا أول من يدعو معك » .

نقول فى رد هذا :

إن اليمن كانت ولاية فارسية ، فلما سمع أهلها ببعث النبى صلى الله عليه وسلم وتأييد الله له قدم عليه وفد منهم مسلمين ، وأسلم واليهم الفارسى معهم ، والبلد الذى تحتله دولة يكثر فيه جنسها عادة ، فيجوز أن يكون الذين كاتبوا سلمان باليمن . وما الذى كان يضطرهم الى الصلاة بلغة لا يفهمونها ، وهم لم يتعودوا ذلك ولا عهدوه فى غيرهم ، ولا سمعوا بأن الاسلام يحظره ، فكتبوا الى صديق لهم أن يوافيهم بترجمة الفاتحة ، ففعل . ويجوز أن يكون هؤلاء بمكة أو بالطائف أو بالبحرين أو غيرها من بلاد العرب ، أو فى بلاد الفرس نفسها وقد أسلموا سرا . فأى شىء فى هذا يستبعده العقل ؟

يقول الأستاذ : « إن هذا الدليل عليك لا لك فهل تريد من الترجمة أن الأجانب يقرءون بها حتى تلين ألسنتهم بالعربية فيتركوا لغتهم ويقرءوا القرآن بالعربية ؟ فان كنت تضمن لى هذا فأنا أول من يدعو معك » .

نقول فى رد هذا :

من الذى قال إننا نترجم القرآن ليقرأه الناس فى الصلاة ؟ إن كل ماقلناه أننا نترجم معانى القرءان لتصحيح التراجم الخاطئة ، إذ لايجوز شرعا ترك المعانى القرءانيـة محرفة فيها ، ولتفهيم الأجانب سمو ديننا ، وأن كتابه يهدى للتى هي أقوم فى جميع المجالات الانسانية . فلماذا يلزمنا الأستاذ بما لم نقله ولا قاله أحد من الذين تصدوا لهذا المشروع ؟

وما معنى قوله : « فان كنت تضمن لى هذا فأنا أول من يدعو معك » ؟ فـكيف يدعو معي لترجمة القرآن وهو الذى يدعى أن الأئمة أجمعوا على عدم جواز ترجمته ، وأن ترجمته تبديل لـكلمات الله وتحريف لـكتابه ، وجناية على اللغة العربيـة ، وحل للجماعة الاسلامية ، وخروج على جميع الأصول الدينية ؟

ألست القائل فى الصفحة التالية :

« أجمع الأئمة الأربعة وجماهير المسلمين على مايأتي :

(١) عدم جواز ترجمة القرءان .

(٢) عدم جواز كتابته بغير العربية .

(٣) عدم جواز القراءة بغير العربية خارج الصلاة » .

فـكيف بعد اعتقادك هذه الأمور الثلاثة ، وقولك باجماع الأمة على عدم جواز قراءته بغير العربية حتى خارج الصلاة ، تقدم على الدعوة معي لترجمته والصلاة بالترجمة حتى تلين الألسنة للقراءة بالعربية ؟

خلنا من هذا الآن .

يقول الأستاذ : أجمع الأئمة الأربعة على عدم جواز ترجمة القرآن ، ثم عاد فقال بعد خمس صفحات : « أجمع الأئمة الثلاثة وجمهور المسلمين ، ماعدا الامام وصاحبيه ، على عدم جواز القراءة بالترجمة فى الصلاة مطلقا » .

وقد سبق له أن قال مرارا إن الامام رجع عن قوله وقال بعدم جواز القراءة بغير العربية مطلقا ، خلافا لصاحبيه ، فعلى أى تأكيداته نعتمد فى هذه المسألة ؟

ولو أردنا أن نتتبع جميع ماأتى به الأستاذ من الأقوال لاستخرجنا منه عجبا ، فندعه وما كتب ، وهو أدرى بمكانه من التمحيص من كل أحد سواه .

وقد ذكرنا أن مسألة ترجمة معانى القرآن ككل مسألة يكثر حولها الخلاف حتى بين أهل المذهب الواحد ، فيستطيع من يريد الجدل للجدل ، لا لتجلية الحقائق ، أن ينقل بعض تلك الأقوال فى صعيد واحد ، فيخيل لمن لاعلم له بالخلافات الفقهية أنه يسوق الفقه كله بين يديه إدلالا على مايقول .

ولكنا أتينا هنا على أقوال بعض العلماء الأولين من جميع المذاهب ، بجواز ترجمة معانى الكتاب الكريم الى اللغات الأجنبية ، بقصد نشر دعوة الاسلام فى العالم الغربى ثانيا . فلا يعقل والحالة هذه أن نكون حيال بدعة سيئة من البدع التى يدحضها الدين .

فاذا خيل لبعض أهل الغرور أن أجلاء العلماء المعاصرين يتأثرون بسحر المدنية الغربية وأساليبها فى الدعاية ، وينزعون الى تقليدها ، فهل يمكن أن يقال إن الامام أبا حنيفة وصاحبيه وجميع علماء مذهبه فى جميع العصور يفترون به فيتناقلونه راضين عنه مقتنعين به ؟ وإذا صح ذلك فيهم على فرض المحال ، فهل يصح فى علماء من مذاهب أخرى كالشاطبى وابن بطال والمقدسى والشافعى نفسه فى أحد قوليه ، وقد سبقوا هذا العهد بقرون كثيرة ؟

كل مافى المسألة أن ترجمة القرآن من المسائل الخلافية ، وقد أجمع المسلمون قديما وحديثا على أنه لابأس على أحد من الأخذ فى تلك المسائل ببعض الأقوال دون البعض الآخر ، فهل يحل لبعض المتكلفين أن يتصدوا للصد عنها متعمدين لضروب المماحكات والمغالطات لهوى فى نفوسهم ، أو تعصبا لآرائهم ؟

التلاعب بالمسائل الخلافية

أطلق الاسلام لأهله حرية البحث والنظر ، وحرم عليهم التقليد الأعمى ، وأشعرهم بالتبعة الشخصية الملقاة على كل منهم حيال عقائده وأعماله وخواطره ، وأعلن كل إمام فى الدين أنه بريء ممن يقلده بغير نظر فى أدلته ، لذلك تعددت المذاهب ، وتشعبت الآراء حتى بين أهل المذهب الواحد . وهذه الحرية من أفعل الوسائل فى الوصول الى الحقائق .

ولـكن بعض من لاحريجة لهم فى الدين فى الأجيال الحديثة اتخذوا هذه الخلافات وسيلة للتلاعب بالأمور الفقهيـة ، وإصدار فتاو متناقضة فى المسألة الواحدة ، طلبا للتفوق على الخصوم من وراء هذهالمحاولات الاجرامية ، ولتصيد منفعة دنيوية .

وكثيرا مااستغل المتلاعبون سذاجة الدهماء فى سبيل تعطيل مشروعات عظيمة ، وإصلاحات خطيرة ليس من مصلحتهم حدوثها . ومن أين للدهماء أن يفرقوا بين الحق والباطل من خلال أقاويل ومناقشات ومغالطات وسفسطات لايستطيعون قراءتها صحيحة ، فضلا عن فهمها وإدراك وجه الصواب منها ؟

على هـذا الأسلوب يجرى المتلاعبون اليوم بالخلافات الفقهية ، حيال مسألة ترجمة المعانى القرآنية ، فبينا يكتب فقيه كالأستاذ الشيخ محمد عبد السلام القبانى المدرس بكليـة الشريعة كما نشره له البـلاغ فى ١٧ مايو الحالي وهو :

« القرآن واجب التبليغ لجميع الأمم ، وهذا الوجوب منصب على تبليغ القرآن نفسه ، ولا يكفى تبليغ الرسائل ولا المؤلفات عنه ، وهو مملوء بالآيات الدالة علىوجوب تبليغه نفسه الى الـكافة ، فأما تبليغه للعرب الذين نزل بلسانهم فقراءته عليهم ، وأما تبليغه لغير العرب وهو فرض واجب معلوم من الدين بالضرورة ،فلا طريق لهذا التبليغ إلا ترجمته لـكل أمة يراد تبليغه لها ، ولا يكتم عن كل أمة منه حرف واحد » .

قلنا بينا يكتب هـذا العالم الفقيه ما رأيت مستنداً على النصوص الفقهية ، يكتب عالم فقيه آخر هو الأستاذ صاحب الرسـالة التى ترد عليها مستنداً على الفقه كما يدعي قوله : إن ترجمة القرآن من أشـد الكبائر وإن المسلمين أجمعوا على منعها ، وتبديع من يحاولها ، وأنها تضر الدين ، وتضيع اللغة ، ويخشى منها على القرآن نفسه الخ .

بل إننا نستطيع أن نأتي فى هذا الباب على ما هو أشد وقعاً فى أنفس القراء من هذا ، فنستطيع أن نأتيهم بأمثلة على صـدور فتويين مختلفتين فى موضوع واحد من فقيه واحد ، أفتى فى إحداها بالجواز مع الاستحسان فى أمر معـين ، وأفتى فى الأخرى بالتحريم مع الاستهجان فى الأمر نفسه ، مستنداً فى كلتـا الفتويين على نصوص وأقوال من كل مذهب .

فهذه الحالة لايجوز أن تغيب عن نظر الناس . نعم إنه يصعب عليهم التمييز بين الصحيح والسقيم من هـذه الفتاوى المتناقضة ، ولـكن لا يصعب عليهم أن يرجعوا من دينهم إلى مبادىء أولية مقررة أجمع عليها المسلمون فى كل زمان ومكان ، وهى :

(أولاً) أن هذا التخالف فى الأقوال يدل على أنه ليس هنالك إجماع ، إذ لو كان إجماع لما وجدت كل من الطائفتين المتنابذتين ما تؤيد به رأيها من أقوال الفقهاء ، ولم يجد الفقيه الواحد الذى ذكرناه ما يؤيد به فتوييه المتناقضتين من أقوالهم .

(ثانياً) أن كل أمر مختلف فيه يمكن العمل بالوجه الموافق للمصلحة منه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « اختلاف أمتي رحمة » .

(ثالثاً) أن الضرورات تبيح المحظورات .

ففى المسـألة التى نحن بسبيلها قد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن مذهب أبى حنيفة يبيح ترجمة القرآن والصلاة به مترجماً ، وكتابته فى كتاب مع القرآن العربى

المنزل . وثبت أيضا من أقوال علماء كبار من المالكية كابن بطال والشاطبي وآخرين من الشافعية وأمثالهم من الحنابلة ، أنهم يستحسنون ترجمة معانى القرآن للدعوة الاسلامية باعتبار أننا مكلفون بتبليغه للأمم كافة . فجميع هذه الأقوال تبرر مشروع ترجمة معانى القرآن وتجعله من المشاريع التى ينتظر من ورائها نفع كبير للدعوة الدينية .

فاذا لم تكن ترجمة القرآن جائزة فى مذهب أبى حنيفة ، ومستحسنة لدى كثير من كبار علماء المذاهب الأخرى كما رأيت ، أفلا نكون فى حل من ترجمته استناداً على القاعدة الاسلامية المشهورة ، وهى أن الضرورات تبيح المحظورات ، درءاً للتحريف الذى وقع فى التراجم التى قام بها أفراد من الأوربيين فى أزمان مختلفة ؟

أيرضى مسلم فى الأرض أن يبقى القرآن محرفا مشوها فى تلك التراجم استناداً إلى مزاعم بعض الذين يتلاعبون بالخلافات الفقهية ، شأنهم فى كل مسألة فرعية ، سواء أكان ذلك قضاء لمآرب شخصية ، أو قصوراً منهم فى العلم بالشئون العالمية ؟

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على سلمان الفارسى أن يترجم الفاتحة ويصلى بها قوم من الفرس ، أفينكر اليوم علي من يتصدى لترجمة معاني القرآن لافهام الأمم القوية حقيقة الدعوة الاسلامية التي وقف لها حياته الشريفة ، ودعا أتباعه للدءوب علي بثها فى العالم كله باعتبار أنها حق مشاع للبشر كافة ؟

إن الامام أبا حنيفة الذى أدرك القرن الأول وأخذ علمه من التابعين ، قد استند على هذه السابقة فقرر بناء عليها جواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما ، أفنتورع نحن عما لم يتورع عنه هو وأصحابه ، ونحن فى القرن الرابع عشر ، ومقصدنا أدعى للاهتمام والعناية من مقصده ، فقد كان يقرر جواز العمل برخصة من رخص الدين ، ولكننا حيال تصحيح تحريفات وقعت

فى معانى كلام الله القديم فى تراجم قام بهـا رجال من الأمم الأجنبية . وهو أمر جلل لو تغابينا عنه وقعنا فى إثم عظيم ؟

يقول المتلاعبون بالخلافيات الفقهية : إن خبر ترجمة سلمان للفاتحة لم يثبت .

نقول : إن قولهم لم يثبت على الاطلاق غير صحيح . فانه ثبت عند أبى حنيفة وأصحابه فأخذوا به كما هو وارد نصاً صريحاً فى كتب الحنفية . وإذا كان هـذا الخبر لم يثبت عند بقية الأئمة فلم يأخذوا به فليس هذا بغريب . فنى الفقه أحكام كثيرة ثبتت مصادرها عند واحد فأخذ بها . ولم تثبت عند الثلاثة فرفضوها ، فاذا أراد أحدنا أن يتكلم عن واحد منها فى هـذا العصر فلا يجوز له أن يقول إن هذا الخبر لم يثبت ، مرسلا النفى إطلاقا على هـذا النحو ، فان هذا العمل لا يعد أمانة فى العلم ، ولـكن يجب عليـه أن يفصل فيه القول ، فيقول : ثبت عن الامام فلان فأخذ به ، ولم يثبت عند الثلاثة فرفضوه .

وعند ذاك فلا يضير أحد المسـلمين أن يأخذ بقول ذلك الامام فى ذلك الحـكم إن رجح عنده قوله على أقوال غيره ، بعد النظر فى أدلته وأدلتهم ، فقد أجمع المسلمون على أن من سار على هذه الطريقة فى ترجيح قول على قول فلا لوم عليه . وفى الفقه أحكام كثيرة انفرد بها إمام واحد وخالفه الثلاثة فيها ولم يجد المسلمون مانعاً من العمل بها .

ولـكن الأستاذ صاحب الرسالة لم يعالج المسألة على هذا النحو ، لئلا يقال له مادامت ترجمة القرآن توافق مذهباً من الأربعة المذاهب ، فلا بأس من التعويل عليه . فحاول إتعاب ذهن القارىء بالشبهات ليستولى عليه ضعيفاً مستخذياً ، فزعم أولا أن الامام لم يستند على خبر سـلمان ، ثم اعترف بأنه استند اليه ، ولـكنه لما تبين له وهنه تركه وأخذ به صاحباه دونه ، ثم شرع الأستاذ يوهن فى ذلك الخبر ويشكك فى طريق وصوله ، فبـذل فى ذلك جهداً جهيداً . ولـكن فاته فى النهاية أهم ما يسأل عنه مطالع رســالته وهو قوله : إذا كان ما تقوله حقاً فـكيف تجمع جميع كتب الحنفية على أن أبا حنيفة لم يرجع

عن هذا القول ؟ وكيف يقرر علماء أعلام من أئمة الحنفية فى هـذا العصر أن أبا حنيفة لم يرجع عنه ؟

الغرض من هذا التهويش كله التأثير فى عقول العـامة ليسيئوا الظن بهذا العمل والقائمين به ، ولا يبالون فى سبيل الجرى وراء هـذا الهوى ما يصيب سمعتهم وسمعة الدين عند ذوى العقول داخل هذه البلاد وخارجها .

لقد بلى العالم الاسـلامي كثيراً بالمثبطين ، ولـكنه لم يبل فى أسوأ أدواره بمثبطين فى إبلاغ دين الله للعالمين ، كما هو حاصل اليوم إزاء ذلك العمل العظيم وهو ترجمة القرآن الـكريم .

لا جرم أن هؤلاء من طراز طريف ، ولـكنها طرافة تظهرنا أمام العالم بمظهر شاذ ، فى زمان ندعى فيه أننا جديرون بمزاملة الأمم فى الحياة ، ومشاركتها النظر فى الشئون الاجتماعية والأدبية .

إنهم للتأثير فى عقول العامة يدعون أن للقرآن معـانى لا تتناهى ، وأنه من بعد الغور بحيث لا يحوم حوله فهم ، وأنه لهذا السبب لا يمكن ترجمته ، والعامة يروقهم هذا القول ويهتفون لقـائله ، ويغيب عن هؤلاء المتلاعبين أن لمزاعمهم هذه آثارا سيئة على المسلمين وعلى الاسلام نفسه .

أما على المسلمين فلأنه يحقق زعم الزاعمين ، من أركان الاستعمار بأن العالم الاسلامى أشبه بجمعية سرية واسعة النطاق ، يبيت أعضاؤها للمدنية شر النيات ويعملون على ذلك فى الخفاء تحت سـلطان تعاليم قرآنية لها معان ذات وجوه رمزية ، لا يمـكن ترجمتها إلى لغة أجنبية ، ويتخذ هؤلاء الاستعماريون امتناع المسلمين عن ترجمته دليلا محسوسا على مايقولون .

وقد سـبق لحـكومات استعمارية أن حرمت على رعاياها تلاوة آيات من القرآن الـكريم وتفسيرها للعامة جريا وراء نمائم الـكتاب الاستعماريين الذين نذكرهم ، وقد سـبق لتلك الحـكومات أيضا أن منعت رعاياها الحج عملا بهذه النمائم عينها التى يسمى أعداء ترجمـة القرآن اليوم لتقويتها فى نفوس طلاب الضغط على المسلمين .

أما تأثير مزاعم المعارضـين على الاسلام نفسه فتأتى من ناحية إساءة الأمم الظن به وبكتابه ، فانهم سيقولون : مالنا ولدين يدعى أهله أنهم لم يفهموا كتابه حق الفهم بعد أن مر نحو أربعة عشر قرنا على نزوله ! وما لنا ولدين يشـترط علينا أن نتعلم العربية لنشاطرهم الانخراط فى سلك أتباعه ! وكيف يعقل أن دينهم كما يقولون عام وهم يحصرونه فى لغتهم الى حد أن يضنوا على بقيـة اللغات بمعانى كتابه ؟ !

وهنا يتدخل دعاتهم الدينيون ويقولون لهم : دعوا القرآن وشأنه ، أما قلنا لكم إنه غذاء عقيم لأهله ، وإنه ليس بشيء غير مصاصة العقلية العربية ، وإن خير مافيه منقول عن التوراة والانجيل الخ .

فهل لهذه النتيجة السيئة يعمل المعارضون لترجمة القرآن الكريم ، فيكلفون أنفسهم إثارة الشـبهات الوهمية ، وتمحل العلل الخيالية ، ليوهموا العامة أنهم يعملون لله ورسوله ، وفى سبيل صيانة دينه ؟

وهـل تروج سفسطاتهم على عقول الناس فيتورطوا معهم فى منع نور الله أن ينفـذ الى قلوب عباده ، ويستدعوا بذلك الشبهات على القرآن وأوليائه ؟

لا أظن ذلك يكون ، فان المسـلمين أكيس أن ينخدعوا بباطل ، أو يؤخذوا بمحال .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد سليمان أيضا

يؤسفني جـدا أن أرى عالما أديبا بارعا كفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان يتغلب عليه الاندفاع فيسـوقه الى موارد لن يحمد مصادرها ، سواء أكللت محاولاته بالفلج ، أم باءت بالخيبة .

كتب الأستـاذ بضع مقالات فى جريدة كوكب الشرق يتابع فيها حملاته على ترجمـة معانى القرآن الـكريم ، فكنت أقرؤها وأسائل نفسى : هل يصدر الأستـاذ فيا يكتبه فيها عن عقيدة أم عن هوى ؟ وأنا أضن به على كلا الأمرين معاً .

فهل يعتقد الأستـاذ أن وعد الله بحفظ القرآن من التحريف والتبديل يتناول الترجمة أيضا كما صرح بذلك فى مقالاته المتتابعة بالكوكب ؟

فمتى اعتبرت الترجمة إهانة للـكتب ، وقد شرف الله اللغات فأنزل كتبه السابقة بكثير منها للأمم ، وفيها ما فى القرآن من التعاليم الالهية ، والحـكم الربانية ، وقد صرح الحق تعالى نفسه بذلك فى كتابه الـكريم فقال : « وإنه (أى القرآن) لتنزيل رب العـالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتـكون من المنذرين ، بلسـان عربى مبين . وإنه (أى القرآن) لفى زبر الأولين » والزبر هى الـكتب .

هذه الآيات تدل دلالة قاطعـة على أن معانى القرآن الكريم قد أنزلت كلها باللغات المختلفة للأمم السالفة ، وقد أعاد الله إنزالها بلسان عربى مبين للأمـة العربيـة .

وأكد الله هـذه الحقيقة فى آية أخرى فقال تعالى : « إن هـذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى » .

فاذا كان الله يحتقر اللغات إلا العربيـة لأنزل جميع كتبه بها ، ولـكن الله الذى يقول : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتـكم

وألوانكم » يتنزه عن تفضيل لغة على لغة ، وهو رب العالمين جميعا . أفيعقل أنه يكره أن ننقل معانى كتابه العربى المبين الي لغات الأمم المعاصرة ، وقد كلفنا بدعوتها اليه ؟ أندعوهم اليه دون أن نحمله اليهم باللغات التى يفهمونها ؟

عرف الناس قديما وحديثا أن الترجمة هى الذريعة الوحيدة لتعميم العلوم والآداب بين الناس ، وأنه لولاها لتقاطعت الأمم وتناكرت ، وجهل بعضها بما فتح الله به على بعضها الآخر ، فبقيت مساتير العلم موزعة بينها لا يتألف منها مجموع قائم بنفسه ، تتوارثه الشعوب وتستودعه أمانة لمن يخلفها كما هو حاصل اليوم .

فهل رب العالمين جل وعلا يحفظ كتابه من الترجمة وهى بحيث علمت شرفا وجلال أثر ، لا سيما وهو يصرح بأن القرآن سبق إنزاله قبل الاسلام بلغات الأمم ؟

وهل يجرؤ أحد على مثل هذا القول وقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تترجم الفاتحة ويصلى بها ؟

إنكم تنكرون ذلك ، وماذا يجدى إنكاركم له وهو مأخذ مذهب هو أكبر مذاهب المسلمين على الاطلاق وأولها ظهورا ، ولم يطعن عليه نقدة الحديث ، ولا مسته المذاهب التى لم تأخذ به بسوء ؟

ألا تعجب ! يقوم صحابى جليل بعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيترجم الفاتحة ليصلى بها قوم من الأجانب ، ويستدل بذلك فى القرن الثانى أقدم الأئمة فيجيز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما ، ويستحسن ترجمته للدعوة جهابذة من جميع المذاهب فى كل زمان ومكان ، ويقوم بين ظهرانينا بعد نحو أربعة عشر قرنا رجال يعتبرون ترجمة القرآن حوبا كبيرا ، بل يزيد عليهم أمثلهم قولا لم يسبقه اليه أحد فى هذه الملة ،وهوأن وعد الله بحفظ القرآن يتناول الترجمة أيضا !

وكتب الأستاذ أيضا فى تلك المقالات : « القرآن روح والروح لايترجم والقرآن نور والنور لا يترجم » .

نقول : ليس هذا من اللعب بالألفاظ ، ولا من اللعب بالمعقول ،ولكنه لعب بالسمعة الذاتية ، وهو ما نضن بالأستاذ عليه أيضا .

قال الله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » وقال : « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ، معناه أن ما أودعناه فى القرآن من الوصايا والتعاليم روح تحيا به القلوب ، ونور تهتدى به العقول .

فاذا سمح الأستاذ لنفسه أن يقول إن القرآن روح ونور وهما لايترجمان،فهل يسمح لمعطل أن يقول : نعم إنه روح ونور ، وهما لايقرآن أيضا ولا يكتبان ، ولا يسمعان ، ولا يفسران ، ولا تتعدد لهما معان ؟ !

مهلا أيها الأستاذ ! إن للشعريات مجالا غير هذا المجال، فما يتلهى بهمن الكلام فى الأدبيات ، وما يتنادر به من المبالغات فى المسامرات ، لايحسن فى أدعى المقامات للجد ومراعاة قوانين البحث ،وهل وضع النقد الدقيق،والتمحيص البليغ، والمنطق المستصفى ، إلا لمثل هـذه المواطن ؟

إن آباءنا وضعوا لتقرير أمثال هذه الكليات علمين عاليين سموا أحدهما علم الأصول والثانى علم الكلام ، سخروا لتقويمها جميع العلوم ، لتصدر فيه المسائل عن قوانين محكمة ، لا تدع ثغرة يتقحمها وهم أو خيال أو هوى . أفنسمح نحن لأنفسنا أن نخضع أشرف موضوع وأجله للأخيلة الشعريةوالألاعيب الكلامية ، غير مكترثين لما ينبنى عليها من متناقضات وسفسطات ؟

لاجرم أن هذا كثير ، وفوق الكثير ، وهو من أهل العلم كبير وأى كبير !

يقول الأستاذ : « القرآن عربي وسره فى عربيته ، وأبى الله إلا أن يكون عربيا » .

نقول : هذا الكلام مناقض لكلام الله نفسه ، فانالله يقول عن القرآن فى آية محكمة : « وإنه (أى معنى القرآن) لفى زبر الأولين » . وهو كلام صريح

فى أن معانى القرآن الكريم وجدت كلها فى كتب الأولين بلغات كثيرة ، فأين منه قول الأستاذ إنه عربى وسره فى عربيته ؟ فهل يعقل أن سر الحكمة الالهية يتوقف على اللغة التى تمثلها ؟ وهل يتصور أن تلك الحكمة نفسها كانت فى الكتب التى أنزلها الله على الأمم بلغتها مجردة من كل سر ، وخالية من كل تأثير ؟

هذا كلام لو ترجم الى لغة أجنبية لكان أثر صده عن الاسلام أكبر من أثر صد ألوف من المبشرين عنه ، فهل يسر الأستاذ هذه الثمرة لجهوده المتكررة ؟

من أغرب ماقرأناه من ضروب الاجابات على الاستشكالات قول الاستاذ :

« فهذا القرآن المنزل من رب العالمين ، قد أنزله ذكراً لجميع العالمين . وهذا الرب أنزله عربيا ، ويعلم أنه عربى ، ويعلم أن العالم مملوء بغير العرب ، ومع ذلك قرر أنه ذكر لجميع العالم ، وأنه قائم بوظيفته مع عربيته قياما كرره فى آيات عدة .

« نعم إنه لعجيب أن يكون هذا القرآن العربى ذكرا وذكري للعالمين مع اختلاف ألسنتهم ، وتعدد لغاتهم . وقد ذكرت الآيات اللاتى ترفع هذا العجب إذ كان نازلا من رب هذه الخلائق . وكأن الحق تعالى أراد أن يدفع هذا العجب أيضا بآياته صريحة قاطعة فى قوله تعالى : « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين » . فتراه تعالى يبين لهم فى الآية الأخيرة أنهم سيرون هذا الذى ظنوه عجباً حقيقة واقعة ، وقد وقعت وستظل واقعة باذن ربها ، وسيظل القرآن العربى ذكرى للنبى العربى وقومه العرب » . هذا ما أجاب به الأستاذ على ما أورده على نفسه من الاستشكال ، ومؤداه أن القرآن سيكون ذكراً للعالمين كلهم وهو باق على عربيته لا يترجم إلى اللغات العالمية ، كما هو الآن ذكر للأمم الآخذة به وهى ذات لغات مختلفة .

يقول الأستاذ هذا ، وفاته أن أربعة أخماس الأمة الاسلامية أجانب عن العربية ، وأنهم قد حرموا هم وآباؤهم منذ أسلموا من هذه الذكرى القرآنية

لجهلهم بالعربية ، فهم لايتلونه ولا يفهمونه . ولذلك ترجمته الى لغاتها شعوب كبيرة منهم كرهت أن تبقى على هذه الحالة من الجهالة بكتابها الالهى . فترجمه الصينيون والهنديون والملايويون والفرس والترك . وقد بدت منهم الآن رغبة شديدة فى نقله الى اللغة الانجليزية . وفى حيدر اباد الدكن اليوم لجنة تترجمه بطلب من أهل جاوا (راجع ما كتبناه هنا فى صفحة ٢١ نقلا عن جريدة البلاغ) .

يقول الأستاذ إن هذه المعجزة القرآنية قد وقعت وستظل واقعة ، أفلا يعلم الاستاذ ، وقد صرف معني الآية على غير وجهها الصحيح كما سترى ، أن أكثر من ثلاثمائة مليون نفس من المسلمين لايزالون محرومين من نعمة تلاوة القرآن لجهلهم العربية ؟ فهل هو يعتقد أن الصيني والهندى والمغولى والجاوى والفارسى والتركى والملاوى والفلبينى وغيرهم ، يفهمون العربية ويقرءون القرآن بها ! إن كان هو يعتقد ذلك فهى معلومات مخطئة عن العالم الاسلامى ، وإن كان هو يعرف أنهم لايفهمون العربية ولا يقرءون القرآن بها ، فعلى أى وجه يعقل أنهم ينعمون بذكري القرآن ، ويتمتعون بأنواره القدسية ؟

على أن إجابة الأستاذ على ما استشكل به على نفسه تخالف ما أجاب به كبار العلماء الأولين أنفسهم ، فقد ذكر ابن حجر فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخاري قول ابن بطال من أئمة المالكية فى مثل هذا المقام ، وهو قوله :

« إن الوحى كله متلوا كان أو غير متلو إنما نزل بلسان العرب . ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة عربا وعجما ، وغيرهم لأن اللسان الذى نزل به الوحى عربى، وهو يبلغه الى طوائف العرب ،وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » .

وقال الأمام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » :

« فان قلت لم يبعث رسول الله للعرب وحدهم ، وإنما بعث إلى الناس أجمعين بل الى الثقلين ، وهم على ألسنة مختلفة ، فان لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة . قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك » .

بمثل هـذا كان يرد أئمـة الاسلام هـذا الاستشكال ، وهي أجوبة تتفـق والمنطق ، وتتلاءم وسنة الله فى العالم ، وتقبلها أعصى العقول فى العصر الحاضر ، ولكن إجابة الأستاذ على هذا الاستشكال لا يقبلها أحد يعتد بعقله .

على أن الأستاذ قد أخطأ فى فهم قوله تعالى : « ولتعلمن نبأه بعد حين » فصرفه على ما يؤيد الاستشكال الذى أورده . فان الآية لم تجىء بصـدد الدلالة على تأثير القرآن فى عقول من لا يفهمونه من طريق الاعجاز ، ولـكن جاءت بصدد تخويفهم من عدم الاكتراث بوعيده ، فأكد لهم بأنهم سيعلمون نبأ هذا الوعيد بعد حين . قال المفسرون أي حين يموتون ، ويرون العذاب الهون ، أو حين يظهر الله الاسلام وهم له كارهون ، وعنه منصرفون .

هذا ما وفقنا أن نرد به على المعاكسين لترجمة معانى القرآن الكريم ، هدانا الله وإياهم إلى صراط مستقيم ؟

محمد فريد وجدى

طبع بمطبعة الرغائب

١٥٨ شارع محمد على تليفون نمرة ٥٨٧٨٥

